الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة ماستر أكاديمي

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث (1519 – 1830) م

بعنوان:

البحرية الجزائرية في عهد الدايات

(1671م-1830م)

إعداد الطلبة:

- مصطفى شوتلة
- عبد الرحمان شريف لبلوبة

إشراف الأستاذ:

د. صالح لميش

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. عامر خير	أستاذ محاضر	المسيلة	رئيسا
د. صالح لميش	أستاذ محاضر	المسيلة	مشرفا ومقررا
د. إبراهيم مرزقلال	أستاذ محاضر	المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1440-1441هـ / 2019-2020م

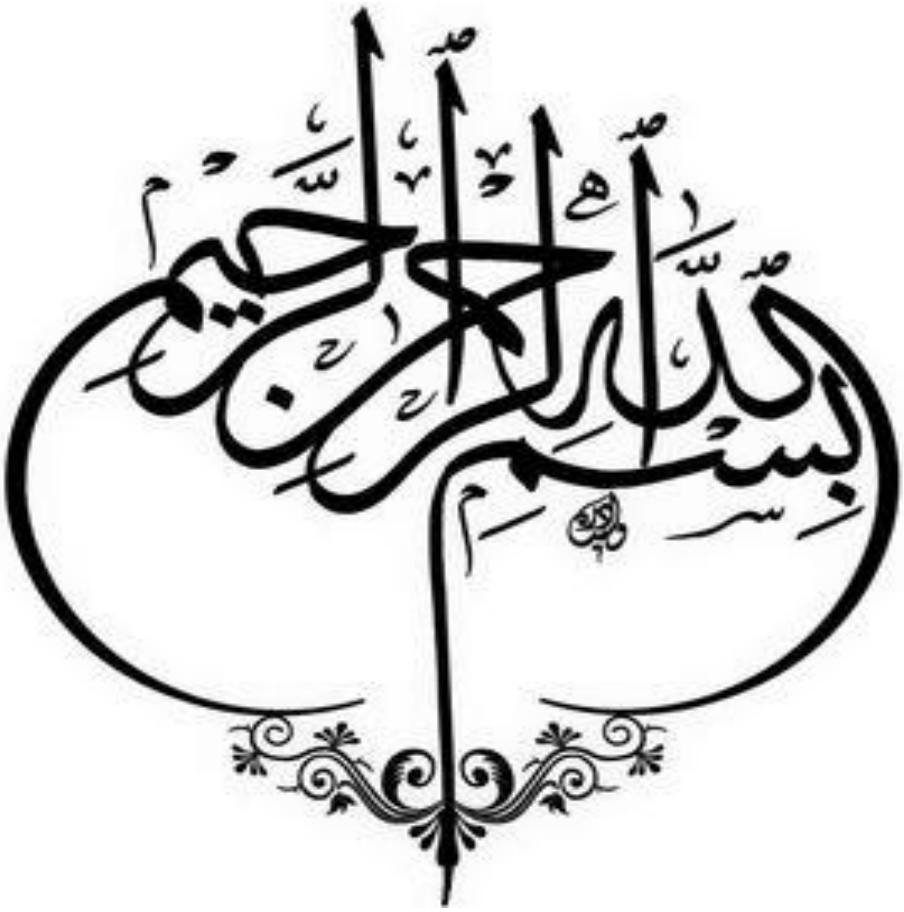
بسم الله الرحمن الرحيم

يقول عماد الأصفهاني:

" إنّي رأيت أنّه ما كتب أحدهم في يومه كتابا إلاّ قال في غده، لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد ذاك لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك ذاك لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر "

إهـــــداء

أوّلا لنبي الرحمة صلّى الله عليه وسلّم... ومن القلب إلى والدي الكريمين خضرة وإبراهيم وإلى معلمي جداوي مسعود... إلى كل مربي مررت على يديه... إلى إخوتي وأخواتي كل باسمه إلى صديقي وأخي مروان بعوني رحمه الله ...وكل الأقارب والصحب والخلان...

إلى الجيش الأبيض في مقدمة المعركة ...

إلى الزميلة نسرين غربي رحمها الله ...

أهديكم هذا العمل

عبد الرحمـان شريـف

إهـــــداء

إلى حبيبنا وقائدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم...

إلى التي كانت أحرص علي من نفسي أماه "حدة" ... وإلى أبي العزيز "علي" ... مدين لكما أنا بـ أنا ...

إلى معلمتي وإلى أمي بعد أمي "مسعودة اقحيوش"...

إلى الذي كان قلبه طيبا ما حيى ... وبفراقه قلبي اكتوى... ابن خالي كمال شوتلة رحمه الله.

إلى العم العيد أوذينة صمام أمان مجمع التاريخ 'p' رحمه الله ...

إلى جميع إخوتي وأخواتي ... إلى جميع أصدقائي وزملائي وزميلاتي...

إلى شهداء وباء كورونا رحمهم الله ...

أهديكم هذا العمل

مصطفـــى

شكـــر وتقديـــر

بسم الله العلي الأعلى الوهاب والحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجهه ولعظيم سلطانه أن أعاننا على إخراج جهدنا المتواضع فالحمد والشكر له.

بكل عبارات التقدير والاحترام، وبكل كلمات الشكر والامتنان نقدم تحياتنا الخالصة إلى الأستاذ المشرف "**صالح لميـش**" على المساعدة الكبيرة التي قدمها لنا، وعلى توجيهاته الصائبة ومراقبته الدائمة لكل خطوة نتقدم بها في بحثنا هذا، فهو حقا كما قال الشاعر:

قم للمعلم وأوفه التبجيلا ***** كاد المعلم أن يكون رسولا**

وإلى جميع أساتذة قسم التاريخ خاصة الدكتور عمر بوضربة والدكتور جعيجع شوقي والأستاذ هاشمي بورقبة ... ولكل من ساعدنا من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة ...

نشكر كل من حمل لواء العلم أمانة على عاتقه لينير درب الأجيال.

وشكـــــرا ...

قائمة المختصرات

رمز الاختصار	الاسم الكامل لرمز الاختصار
ط	طبعة
ج	جزء
مج	مجلد
ع	عدد
ص	صفحة
د ط	دون طبعة
د ت	دون تاريخ
هـ	هجري
م	ميلادي
ق	القرن
و.م.أ	الولايات المتحدة الأمريكية
p	الصفحة Page
op-cit	المصدر السابق أو المرجع السابق Opus Citatum

مقدمة

مقدمــة:

لطالما كانت البحرية الجزائرية المرآة العاكسة لهيبة الجزائر في الحوض المتوسط، فكثيرا ما نجد أن المؤرخين قد وصفوها على أنها إحدى الغرائب في حوليات حضارات البحر المتوسط، وبتعاقب الزمن مارست العديد من الدول ظاهرة معروفة بالنشاط البحري، وهنا نجد أن البحرية الجزائرية قد ذاع صيتها في هذا المجال وهذا ما أسال الكثير من الحبر للمؤلفين حول موضوع ثنائية البحرية الجزائرية والنشاط البحري.

وبتتبع ثنايا الكتب نجد أنها تعرضت لأهم مفاصل تكوين النواة الأولى للبحرية، وذلك بدءا من دعم الباب العالي للإخوة بربروسا عقب الإلحاق، وقد تمايزت البحرية خلال فترات الحكم العثماني في الجزائر، وصولا لعهد الدايات الذي تميزت فيه إيالة الجزائر بمؤسساتها الحديثة في ظل ما يعرف بالحكم الذاتي مع التبعية الروحية للدولة العلية، وهو ما سنحاول تسليط الضوء عليه من خلال هذه الدراسة الموسومة بعنوان: **البحرية الجزائرية في عهد الدايات (1671م-1830م).**

1- حدود الدراســة:

وقد حددنا الإطار الزماني للموضوع بـ (1671م-1830م) فسنة 1671م تمثل بداية حكم الدايات في الجزائر باعتباره فترة حافلة بالأحداث والوقائع التاريخية، أمّا سنة 1830م فهي سنة احتلال مدينة الجزائر من طرف فرنسا وانتهاء الوجود العثماني بها .

2- طرح الإشكاليــة:

قد شكلت كرونولوجيا أحداث القرون الثلاث الأخيرة من الحكم العثماني بالجزائر مادة دسمة للباحثين بإسقاطات على مجريات الحادثة التاريخية لأدوار البحرية وعلاقتهم بالدايات آنذاك بين الريادة والتراجع عن ذلك، فإلى أي مدى يمكن الأخذ بهذا الطرح ؟

وللإجابة عن ذلك ارتأينا البحث في التساؤلات الفرعية التالية:

- ما هي أبرز الهياكل والتنظيمات التي ميزت البحرية الجزائرية؟
- ما هي معايير المعادلة السياسية للبحرية الجزائرية داخليا وخارجيا ؟

- ما هو الدور الذي لعبته البحرية في حروبها مع الأمم الغربية ؟
- إذا كانت الجزائر قد ربطت مصيرها طيلة ثلاث قرون ببحريتها فكان الغزو البحري نشاطا مركزيا للدولة واقتصادها، فكيف ساهمت البحرية في تنشيط الحياة الاقتصادية؟
- ما هي العوامل التي أثرت في إضعاف البحرية وانهيارها؟

3- دواعي اختيار الموضـوع:

تعود الأسباب التي دفعتنا لاختيار الموضوع والتي يمكن ذكر أهمها في النقاط الآتية :

- تعزيز مدراكتنا بجانب هام من جوانب قوة الجزائر المتمثلة في هياكل البحرية آنذاك.
- دراسة البحرية الجزائرية أواخر العهد العثماني نظرا لأهمية هذه المرحلة في تاريخ الجزائر الحديث.
- الإحاطة بأدوار البحرية باعتبارها من أهم العناصر التاريخية التي ساهمت في بناء العلاقات مع الدول من جهة، و كذا الذود عن حمى الديار والأمن الاقتصادي من جهة أخرى.
- معرفة الأسباب الرئيسية في تقهقر القوة البحرية في الأيام الأخيرة من الوجود العثماني بالجزائر.

4- أهداف الدراسـة:

إنّ الهدف من هذا الموضوع هو دراسة البحرية الجزائرية خلال عهد الدايات من تاريخ الوجود العثماني الغني بالأحداث والوقائع التاريخية ودورها الريادي على أكثر من صعيد، والبت في بعدها الجهادي والدفاعي.

5- المنهج المعتمد:

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي بالاستناد إلى الأساليب السردي الوصفي التحليلي الإحصائي كسبيل للوصول إلى الإجابة عن الإشكالية العامة، فالمنهج السردي الوصفي من خلال طرحنا للأحداث التاريخية التي ميزت البحرية الجزائرية ونشاطها، ومن أجل أن تتضح الصورة أكثر قمنا بوصف هياكل البحرية من خلال السفن وأنواعها وكذا الحملات والمعاهدات، أمّا المنهج التحليلي فقد استعنا به في تحليل ما توثق لدينا من مادة علمية وخاصة في تحليل المفاهيم، ووظفنا المنهج الإحصائي من خلال إعطاء أرقام حول وحدات الأسطول وكذا جداول منظمة تتضمن أعداد الغنائم البحرية.

6- محتوى البحث:

ارتأينا تقسيم موضوع الدراسة إلى أربعة فصول، وأردفناها بمقدمة وخاتمة ومجموعة من الملاحق ذات العلاقة بالمتون، ورتبنا الفصول على حسب التسلسل المنطقي.

فالفصل التمهيدي خصصناه للمحة تاريخية عن البحرية الجزائرية خلال القرن 16م و17م لإعطاء نظرة شمولية حول البحرية.

أمّا الفصل الأول كان تحت عنوان هياكل البحرية الجزائرية، ويتضمن تشكيلة الأسطول وذلك من جانب السفن بمميزاتها وأنواعها وكذا وحدات الأسطول، بالإضافة إلى تنظيم البحرية متضمنة طائفة الرياس وديوان البحرية .

وفي الفصل الثاني المعنون بأدوار البحرية الجزائرية تمحورت الدراسة فيه حول الدور السياسي للبحرية على المستوى الداخلي والخارجي، إلى جانب الدور العسكري الذي تطرقنا فيه إلى الحروب التي خاضها الأسطول الجزائري، بالإضافة إلى الدور الاقتصادي من خلال عائدات التجارة ومداخيل الخزينة.

أمّا الفصل الثالث فتمحور حول عوامل ضعف البحرية، وذلك بذكر أهم الحملات الإنجليزية وأسباب انهيار نظام الدايات ووصولا إلى الحصار البحري الفرنسي.

وأنهينا بحثنا بخاتمة وحوصلة حول الموضوع، متضمنة مجموعة من الاستنتاجات حول الدراسة، مرفوقة بملاحق مهمة تزيد من شأن الموضوع وتوضيحه.

7- المادة العلمية المعتمـدة:

اعتمدنا على مصادر ومراجع باللغتين العربية والفرنسية:

أ-المصادر: كتاب أحمد الشريف الزهار مصدر ثمين ساعدنا في معرفة طرق تعيين الرياس وخوضهم غمار البحار، وتكمن قيمته أنه عاصر الحدث.

ومن المصادر المترجمة إلى العربية مذكرات القنصل الأمريكي وليام شالر الذي ترجمه إسماعيل العربي، وقد استفدنا منه في بعض التقارير والإحصائيات باعتباره قنصل عاش فترة بالجزائر.

ب-المراجع: كتاب دراسات الجزائر في العهد العثماني للمنور مروش والذي يدرس صناعة السفن وأيضا مرجع متخصص من الناحية الاقتصادية للجزائر، وكتاب عزيز سامح آلتر الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية والذي قد أفادنا في كيفية وصول الرياس إلى كرسي الحكم.

ومن المراجع الفرنسية للجزائريين التي تطرقت إلى أنواع السفن الجزائرية خلال العهد العثماني: Moulay Belhemissi, Marine et marins d'Alger 1515-1830

8- الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة التي تناولت جانبا من موضوع دراستنا أو كانت لها علاقة به نذكر:

- مذكرة ماجستير لسرحان حليم بعنوان: تطور صناعة السفن الحربية بالجزائر على عهد العثمانيين من خلال المصادر التاريخية والأثرية، والتي تناولت صناعة السفن والتنظيم الإداري للبحرية الجزائرية خلال الحكم العثماني.

– مذكرة ماجستير محمد الأمين عطلي، نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية، والتي تطرقت إلى تأثير البحرية الجزائرية على العلاقات الخارجية ودور الأسطول في تحصيل الغنائم البحرية.

– مذكرة ماجستير مصطفى بن عمار، الصراع على السلطة في الجزائر في عهد الدايات (1671م–1830م)، والتي عالجت الصراع على سلطة الدايات بين رياس البحر وفرق الإنكشارية .

9- الصعوبــات:

وبحثنا هذا ككل عمل كان في حاجة لمثابرة حثيثة، غير أنّه لم يخل من العناء والمشقة نتيجة الصعوبات والمعوقات والتي من أهمها:

– الظروف الصحية التي تمر بها بلادنا بفعل جائحة الحمى التاجية "Corona Virus" والتي حالت دون تواصلنا المباشر مع الأستاذ المشرف وحتى مع بعضنا البعض.

– ضعف شبكة الإنترنت صعبت علينا المأمورية فتعذر علينا تحميل الكتب الإلكترونية.

– غلق المكتبات المركزية بالجامعات والمكتبات العمومية كذلك.

الفصل التمهيدي:

لمحة تاريخية عن البحرية الجزائرية خلال القرنين

16م و17م

أولا/ البحرية الجزائرية في عهد البايلربايات (1519م – 1587م)

ثانيا/ البحرية الجزائرية خلال عهد الباشاوات (1587م – 1659م)

ثالثا/ البحرية الجزائرية في عهد الآغوات (1659م – 1671م)

تمهيـد:

إنّ التحول الجذري الذي شهده العالم الأوروبي خلال القرن 15م من حركة علمية وما تمخض عنها من كشوفات جغرافية، حول الحركة التجارية العالمية من الحوض المتوسط إلى البحار الشرقية، ونجد أيضا إسبانيا التي توحدت تحت راية المسيحية وعزمهم على ملاحقة المورسكيين بعد إسقاط آخر معقل للمسلمين في الأندلس 02 جانفي 1492م والقضاء على إمارة غرناطة، كل هذا لم يكن كافيا بل تمت ملاحقتهم إلى السواحل الإفريقية الشمالية حتى وقعت بعض المدن في قبضتهم، من خلال هذا وكل التطور الكرونولوجي الحاصل بالمنطقة، خاصة و اقترانه بالمورسكيين، أصبحت الأندلس قضية محور الصراع والحروب بين إسبانيا ومسلمي المغرب[1] .

ومن جهة أخرى ظهرت الدولة العثمانية التي توسعت رقعتها شرق أوروبا وشرعت في السيطرة على المتوسط، فدخلت بذلك في مواجهة مع إسبانيا، محاولة بذلك إعادة الحركة التجارية إلى سابقها والحيلولة دون تحولها إلى رأس الرجاء الصالح، لأن العالم الإسلامي حينها كان مستفيدا من الحركة التجارية المقرونة بالضرائب على كل البضائع المارة بمياهها، فسعى العثمانيون على تسهيل الحركة التجارية مذ القرن 16م ، فمنحت مجموعة إمتيازات للأوروبيين ليكون بذلك التنافس الشديد بين مختلف الدول[2] .

كل هذا أفرز قضية أصبحت معروفة بالقرصنة[3]، احتلت الجزائر بها دورا رياديا بالحوض المتوسط، فربطت بذلك علاقات سياسية و تجارية مع عدد كبير مع الدول الأوروبية، فعرفت حينها باسم " إيالة الجزائر"، ونظرا لنشاط بحريتها على مدار ثلاث قرون أبرمت العشرات من المعاهدات وأصبحت تملك أسطولا قويا، فضمنت بذلك أمر

---

[1]– أرزقي شويتام، التنافس الدولي في البحر المتوسط خلال القرنين 18 و 19 م وموقف الجزائر منه ، حولية المؤرخ، ع 3–4، الجزائر، 2005 م، ص ص ، 161–164.

[2]– أرزقي شويتام، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي (1519 – 1830م)، ط 1 ، دار الكتاب العربي، لبنان، 2010م، ص 55.

[3]– القرصنة : كلمة إيطالية الأصل (corso) ، المقصود بها هنا نشاط الغزو البحري التي كانت تقوم به سفن خواص لمصلحة دولة ما في حالة حرب ، انظر : أمين محرز ، الجزائر في عهد الآغوات (1659 – 1671م) ، البصائر، الجديد للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2001 م، ص 35.

الجزائر والخلافة ككل وخاصة التجارة والملاحة بالحوض المتوسط، ثم إن نشاط القرصنة قد أغضب جموع المسيحيين فعملوا على إنهائه بعدما كان بحّاروها يمارسون هذا النشاط بموافقة دولهم، في حين كان أسلوبا دفاعيا لمواجهة المد الاستعماري فيغنمون السلع والأسرى ولا يتم ذلك إلا بعد موافقة السلطة، وبذلك كانت القرصنة أو ما يعرف كمصطلح أكثر دقة النشاط البحري أهم مورد للنشاط الاقتصادي لإيالة الجزائر خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ميلادي[1] .

[1]– أمين محرز، مرجع سابق، ص 202.

أولا/ البحرية الجزائرية في عهد البايلربايات (1519 م- 1587م)

تمثل هذه المرحلة بداية النشاط البحري العثماني بالجزائر، وذلك مذ إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية عام 1519م، فعين خير الدين بربروس[1]، بايلرباي عليها من قبل السلطان سليم الأول[2] ، بعد مراسلة أعيان مدينة الجزائر وتوجيه دعوة لحمايتهم[3] ، تعد هذه الرسالة سلاحا لخير الدين حيث عزز مركزه وقوّى مكانته وذلك بكسب ود السكان وإقناعهم بضرورة مساعدة الدولة العثمانية لهم[4] ، فزود السلطان سليم الأول بعد إلحاق الجزائر بالسلطة العثمانية بالأناضول زودهم بالعدة والعتاد لمواجهة الخطر الإسباني فكانت القوة العسكرية الأولى والمقدرة بأربع آلاف مقاتل النواة الأولى للجيش الجزائري في الفترة الحديثة[5] .

[1]- خير الدين: ولد حوالي 1470 بجزيرة مدلي من أب تركي و أم أندلسية اسمه الأصلي الخضر بن يعقوب ، كان قابودان باشا للبحرية العثمانية توفي 1546، وعرف لدى الأوروبيين بباباروسا أي ذو اللحية الحمراء ، أنظر : Diego de haédo, abbé de fromesta, histoire des rois d'Alger, H-D de grammant, addphe jourdan, libraire, éditeur, Alger, 1881, p 01.

[2]- سليم الأول : تاسع سلاطين آل عثمان ولد 1470/10/10 وتوفي 1520/09/22، يلقب بالعابس و أيضا (ياوز) وتعني بالتركية الشجاع ، حكم 8 سنوات من 1512 حتى وفاته ، أنظر : محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق : إحسان حقي ، دار النفائس ، بيروت 1983 .

[3]- عائشة غطاس و آخريات، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها طبعة خاصة ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحوث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، الجزائر 2007 ، ص 24.

[4]- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962 ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1997، ص 52.

[5]- عائشة غطاس وآخريات، مرجع سابق، ص 27.

أهم إنجازاتهـــا:

كان حكام البايلربايات ينتمون لطائفة رياس البحر، والفضل لهم في تنظيم البحرية الجزائرية، ولا يخفى أنهم حققوا الوحدة الإقليمية و السياسية لإيالة الجزائر، فقضوا على تمرد الإمارات و العشائر المحلية كإمارة جبل كوكو بالقبائل[1] .

ولا يخفى أيضا إنشاء مراكب بحرية و وطوروا ميناء مدينة الجزائر وتحصينه، وجهزوا السفن بالمدافع، واتخذوا موانئ كقواعد ينطلق منها الأسطول الجزائري كشرشال و بجاية وظلت البحرية تلعب دورا كبيرا زهاء ثلاث قرون[2]، وأيضا سعى البايلربايات إلى صد هجمات الأسبان ومساعدة المورسكيين المقيمين بالجزائر[3] .

وأهم ما قام به خير الدين هو صد الحملة الاسبانية التي قادها "هوغودومونكادا" التي نزلت بوادي الحراش أوت 1519م، هزموا خلالها شر هزيمة وتحطم عدد كبير من السفن[4] .

ومن أعماله أيضا هو طرد الأسبان من حصن صخرة البنيون في ماي 1529م، الذي كانت تقيم فيه حامية عسكرية بتعداد 150 جنديا بعد رفض الأسبان تسليمها[5] .

---

[1]– إمارة كوكو : منطقة ببجاية تعود لأحد شيوخ زواوة، إمارة معلقة في الجبال يرأسها ابن القاضي ، أنظر: كورين شوفاليه ، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر(1510–1541)، ترجمة:جمال حمدانة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2007 ، ص 37 .

[2]– Molay Belhamissi, Histoire de la marine algérienne,1515–1530, En Al, Alger,1983,P49.

[3]– ويليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعليق و تقديم : عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر ، الجزائر، 2006، ص 54 .

[4]– نفسه، ص 56 .

[5]– كورين شوفاليه، مرجع سابق، ص ص 46، 135 .

استرجعت الصخرة بعد شن حملة مجهزة بالسفن الحربية والرجال، وتمكن من الدخول للقلعة بعد حصار دام عشرين يوما[1] .

ونشاطات أخرى للبحرية الجزائرية كصد الهجمة الاسبانية سنة 1530م من قبل خيرالدين باشا والأسطول الاسباني بقيادة الأميرال "أفريدريكوبور– توندو" المجهز بـ 12 سفينة حربية، حيث كان في نيتهم القضاء على الأسطول الجزائري بين جزيرتين من جزر البليار الاسبانية، وتمكن خير الدين من تدمير الأسطول كله وقتل قائده والرجوع بالغنائم[2].

وبقي الأسطول الجزائري محافظا على قوته رغم الحملة الاسبانية الشرسة بقيادة "شارلوكان" عام 1541م بمعية 516 سفينة، وأكثر من 120 ألف بحار، فشلت هذه الحملة وغنم منها المسلمون، وللعلم فإن حسن باشا ابن خير الدين هو الذي أشرف على صد هذه الهجمة فوالده كان قد عين بايلرباي عام للأسطول العثماني 1534م وأعانه و وجهه في عملية الصد[3] .

الطابع الهجومي للجزائر ساهم في انكماش النفوذ الاسباني، وقد ساعد في ذلك شخصيات لعبت دورا هاما في تعزيز نشاط الأسطول، فعلى سبيل المثال لا الحصر "رايس صالح باشا"، حرر بجاية سنة 1555م وعرفت البلاد استقرار وسلاما[4] .

أراد صالح باشا ضرب المغرب الأقصى و اسبانيا في آن واحد ومن ثمة استرجاع وهران وطرد الصليبيين منها، وافقت السلطة العثمانية على ذلك، فأرسل بذلك 30 سفينة

---

[1]– خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس ، ترجمة: محمد دراج، ط1 ، شركة الأصالة للنشر والتوزيع ، الجزائر 2010 ، ص 135.

[2]– أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492–1792)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، ص ص 219–220.

[3]– المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، القرصنة، الأساطير والواقع، ج2، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص ص، 100–101.

[4]– نفسه، ص ص 92، 182.

حربية و 4000 ألاف جندي، لكن المنية كانت أسبق من أن تنجح خطته، توفي سنة 1556م بسبب الطاعون[1] .

عين العلج علي[2] بايلرباي وأصبح صاحب السلطة العليا في مدينة الجزائر سنة 1568م، كثف خلال فترته النشاط البحري، وكان عازما على تحرير المغرب العربي من بقايا الأسبان ونجدة المسلمين بالأندلس وعلى هذا المبدأ سارع في تجهيز أسطول يحوي 70 ألف رجل لنجدة الثورة الأندلسية باسبانيا، كل الرجال من مختلف جهات البلاد، توجه بهم لمستغانم استعدادا للهجوم على الأسبان بوهران ثم بعدها التوجه إلى الأندلس[3] .

وصل إلى مرسى المرية باسبانيا حوالي 40 سفينة لكن العملية فشلت، لكن العلج علي أعاد الكرة بعد عام 1569م لتأييد الثائرين، غير أن الأسبان علموا بذلك فصدوه عن النزول .

وتجدر الإشارة أن العلج علي شارك في معركة ليبانت عام 1571م[4] على رأس 50 سفينة مضافة لـ 250 سفينة عثمانية في مواجهة 300 سفينة حربية للأسطول المسيحي، خسر الأسطول العثماني المعركة[5]، وغرقت 94 سفينة من بينها 30 جزائرية و اسر للمسلمين نحو 30 ألف[6] .

---

[1]– مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3 ، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ص 86.

[2]– علج علي: ولد علج علي حوالي 1500م في منطقة كلابر في جنوب إيطاليا، أسر حين نهاية للدراسة 1520، واتي به للجزائر، وتدرج بسرعة إلى أن أصبح من رياس البحر المشهورين، أطلق عليه السلطان لقب (قلج) أي السيف، كان قائد قسنطينة 1534، وعينه السلطان في منصب قبودان باشا، وبقي فيه إلى حين وفاته 1587، أنظر: محمد سي يوسف، دور قليج علي باشا بايلرباي الجزائر في معركة ليبانث 1571، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع 21 ، جامعة تيزي وزو، الجزائر، 2000، ص ص 79–80.

[3]– أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص ص 392–393.

[4]– نفسه، ص 399.

[5]– عبد القادر فكاير، دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتو 1571، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع 09 ، جامعة خميس مليانة، 2014، ص417.

[6]– أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص 399.

وبالرغم من ذلك استطاع العلج علي أن يلملم شتات السفن، فانسحب وأنقذ حوالي 60 سفينة و جمع الأسطول قبل توجهه لاسطنبول[1] .

وأكثر ما يحسب للأسطول الجزائري بقيادة العلج علي هو فزعته على رأس 138 سفينة سنة 1569م وتحرير تونس واسترجاعها من يد الأسبان[2] .

إذا فالنشاط البحري للأسطول الجزائري ورجالاته لعب دورا كبيرا للدولة الجزائرية الحديثة وانتظام سيرها، تحت لواء الخلافة العثمانية، هذا النشاط كسر شوكة المد الاسباني وحلفائه، ومن الجلي أن الإخوة بربروس لعبوا دورا كبيرا من خلال الذود عن سواحل المغرب العربي ومياهه فقوى ذلك الأسطول البحري وعزز مكانته وساهم في بناء دولة الجزائر .

[1]– عبد القادر فكاير، مرجع سابق، ص 419.

[2]– أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص 400.

ثانيا/ البحرية الجزائرية خلال عهد الباشاوات (1587 م- 1659م)

بعد وفاة العلج علي شهر جوان 1587م، على الرغم من احتفاظه للقب بايلرباي وتعيينه أميرالا للأسطول العثماني 1571م، دخلت إيالة الجزائر مرحلة جديدة من الحكم، فقرر السلطان مراد الثالث إلغاء نظام البايلربايات واستبداله بنظام الباشاوات خوفا على مصالح الدولة العثمانية بالإيالة[1]، وذلك أيضا سعيا منه لضبط الأنفس وتخفيف حدة النزاع بين الرياس والانكشارية، التي كانت غاضبة من لقب البايلرباي للرياس فألغيت هذه الرتبة[2] .

ولا يخفى أن فترة حكم الباشا والمقدرة بـ 3 سنوات لم تكن كافية للتحكم في زمام الأمور وفرض السيطرة، كما فعل سلفهم من الرياس[3]، الجدير بالذكر أن قوة الرياس قد برزت أكثر فازدهرت مدينة الجزائر بفضل موارد النشاط البحري من غنائم وتجارة العبيد وتشييد العمائر والمساجد، تجدر الإشارة أن السفن التي أخذت في ثماني سنوات (1613-1621)م كالتالي :

- 407 سفينة هولندية .
- 192 سفينة فرنسية .
- 60 سفينة انجليزية .
- 120 سفينة اسبانية .

[1]- عمار بوحوش، مرجع سابق، ص 58.

[2]- حفصاوي راضية وهدروق حسيبة، البحرية الجزائرية في العهد العثماني (1518-1830)، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، المركز الجامعي خميس مليانة، 2011، ص43.

[3]- سفيان صغيري، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة باتنة، 2012، ص ص 33-34.

وفي سنة 1613م قام سلمان رايس مع مصطفى رايس بمهاجمة جزيرتي سانت ماري و جزيرة بورتو سانتو واسروا 700 شخص وغنموا الكثير[1] .

مع بداية القرن 17م شهدت البحرية الجزائرية منعرجا حاسما وكذلك تعثرا في العلاقات مع الدول الأوروبية التي هاجمتها، كهجمة أندري دوريا 1601م الأوروبية المشتركة ولكنها منيت بالفشل[2]، ولا يخفى انه في سنة 1603م فترة حكم خضر باشا قام الرياس بمهاجمة السواحل الفرنسية واسر بعض المسيحيين، أمام هذه القوة البحرية للرياس سعت فرنسا لعقد معاهدة وكان ذلك في 1619م من اجل وقف الأعمال العدائية بين الطرفين[3].

كل هذا وبقيت البحرية الجزائرية السند لعمليات الأسطول العثماني، فقد أرسل السلطان العثماني إلى طائفة الرياس لمساعدتهم ضد مالطة، فكانت التلبية بمعية الأسطول التونسي، غير ان العاصفة فرضت عليهم الاحتماء بجزيرة فلزنيا فهاجمهم أسطول البندقية فاستولوا على 12 سفينة، واغرقوا 4 سفن واسروا 3634 أسيرا لم ينج منهم إلا القليل، أرفق هاته الخسارة وباء عظيم، تلاه وباء آخر ما بين (1648-1650)م نقل من طرف بحارة الأسطول العثماني يسمى الوباء الكبير[4] .

بعدما عين الباشا إبراهيم للمرة الثانية كان قد انتهى عهد الباشوات المعينين من الأناضول (1558-1659)م، استغل إبراهيم باشا قصف مجموعة الأميرال Blaka للمدينة ليفرض على الرياس ضريبة على المساعدات السنوية التي ترسل لهم من

---

[1]- جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500-1830)، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر ص ص 76-77.

[2]- أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص415.

[3]- زينب عناية وسليمة فتوش، البحرية الجزائرية أواخر العهد العثماني (1722-1830)، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة خميس مليانة، 2012، ص 13.

[4]- عزيز سامح آلتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، 1989، ص ص 377-378.

القسطنطينية[1]، ساهم هذا الضغط على نشوب التمردات فألغى الديوان على إثره الباشوية وتوجه إلى آغا الأوجاق.

رغم كل الأوضاع في هاته الفترة إلا أن وتيرة النشاط البحري بقيت كما هي، فقد عرف بأنه العصر الذهبي للبحرية وكذلك السيطرة على حوض المتوسط والسواحل الأوروبية للواجهة الأطلسية .

[1]– وليام سبنسر، مصدر سابق، ص28.

ثالثا/ البحرية الجزائرية في عهد الآغوات (1659م – 1671م)

تعتبر هذه مرحلة جديدة من مراحل الحكم العثماني بالجزائر وكذلك قصيرة المدى، وكان هذا الانتقال بعد إقدام قادة الجيش البري على خلع الباشا وتعويضه بـ (آغا الأوجاق) الذي هو من طائفتهم، ويعتبر هذا انقلاب على الباشا المعين من الباب العالي المدعوم أساسا من طائفة الرياس[1] .

ومن الجدير بالذكر أن الآغوات الثلاث الأوائل صعب عليهم فرض سيطرتهم ونفوذهم، وهذا نظرا للتناقضات داخل نظامهم، هذا مما ساهم في نشوب عدة ثورات ضدهم، مما عقد الأمر أكثر[2] .

الآغا هنا لم يكن الحاكم الفعلي فقد كان شكليا فقط حاملا للقب فخري، والحاكم الأصلي هو الديوان لذلك كانت الدسائس والتآمرات والاغتيالات، مما ساهم بشكل مباشر في ضعف القوة العسكرية بصفة عامة نتيجة تعرضها لضربات أوروبية خارجية وثورات داخلية[3] .

رغم ضغط من الديوان إلا أن البحرية عاودت النشاط بشراهة، فوجهوا ضربات قوية للسواحل الاسبانية و الإيطالية وغنموا منها، سنة 1661م هاجموا سواحل صقلية وسواحل البحر الأدرياتيكي و غنموا مليوني ليرة، خلال هذا النشاط تجنبت البحرية السفن الفرنسية رغم أن هذه الأخيرة كانت من أكثر الدول اعتداء على الجزائر[4]، حاول علي آغا توطين الحكم بتشييد برج سردين و إنشاء مخزن للذخيرة[5]، وبعدما قتل انتخب عدة أشخاص لخلفه

---

[1]– صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص97.

[2]– حفصاوي وهدروق، مرجع سابق، ص 54.

[3]– سفيان صغيري، مرجع سابق، ص 35.

[4]– آلتر، مرجع سابق، ص400.

[5]– نفسه، ص 401.

فرفضوا ذلك وانتشرت الفوضى فاغتنم الرياس الفرصة ليتحول منصب السلطة للداي ليبدأ عهد جديد[1] .

هذا الانتقال هو في الحقيقة طور انتقال من عهد قصير بين فترتين، فترة حكم الباشاوات وحكم طويل الأمد للدايات[2] .

لم يكن نشاط البحرية في عهد الآغوات بالزخم الذي كانت عليه في السابق على عهد الباشاوات، كل هذا بسبب المعاهدات المبرمة مع الأمم مما قوّض نشاطها وقلص عائدات النشاط البحري على ما كانت عليه.

[1]– الميلي، مرجع سابق، ص 177.

[2]– أمين محرز، مرجع سابق، ص 224.

الفصل الأول:

هيـاكل البحـرية الجزائـرية

أولا/ تشكيلة الأسطول

1-السفن (مميزاتها وأنواعها)

2-وحدات الأسطول

ثانيا/ تنظيم البحرية الجزائرية

1-طـائفة الريـاس

2-ديوان البحرية

تمهيــد:

شكل واقع البحرية الجزائرية في العصر الحديث مادة دسمة للباحثين، سواء للبحث أو التصحيح، باعتبار أن البحرية خاصة في النصف الثاني من القرن 16م و القرن 17م عرفت تطورا كبيرا من حيث الهياكل والتنظيم، ما جعل الاعتكاف على دراستها، يدفع إليها أكثر من عامل وأكثر من استفهام .

عناصر عدة ساهمت في تطور بحرية الجزائر، ومنحها شرف تزعم مجريات الزمان والمكان، وذلك بفرض نفسها في حوض المتوسط، وهذا من خلال بناء السفن و ما لحقها من مداخيل الغزو، ويشهد على هذا القول " هايدو Haido " بتفوق الجزائريين في بناء السفن[1] .

إن قوة الأسطول الجزائري ازدادت في بداية خضم الصراع العثماني الاسباني والذي لعبت فيه الجزائر دورا حاسما، الأمر الذي يجعلنا نتساءل حول حجم البحرية في المنتصف الثاني من القرن 16م تحديدا من حيث جوانب عدة :

عدد السفن وأنواعها وحتى صناعتها، وتحت مسمى تشكيلة الأسطول وأيضا تنظيم البحرية، كل هاته النقاط سنأتي عليها في جوانب الفصل .

[1]– Haido, op–cit, P 28.

أولا/ تشكيلة الأسطـول

تعد تشكيلة الأسطول من أهم الركائز التي اعتمدت عليها طائفة الرياس في تعزيز القوة البحرية، وذلك مذ عهد الإخوة بربروس باستقدام 14 سفينة والتي هي نواة الأسطول[1]، وأخذ الأسطول في التطور منذ القرن 16م و أوائل القرن 17م[2]، وتعد السفن ووحدات الأسطول مفاصل التشكيل وهذا ما سنأتي عليه في هذا الفرع .

1- السفــن:

إن تطور بناء السفن والأسلحة البحرية في الجزائر ما هو إلا انعكاس لما توصل إليه العثمانيون في إسطنبول من تطور كبير، وقد أعجب البحارة الجزائريون بما وقع عليه ناظرهم بدار الصناعة بإسطنبول، وهذا ما يضمنه خير الدين في مذكراته قائلا : " زرت إسطنبول مع بعض البحارة الجزائريين، انبهر البحارة عندما رأوا إسطنبول وتجولوا في مضيقها[3]، وزاروا حصونها وقلاعها وأسوارها المنيعة، وكم كانت دهشتهم عظيمة لما رأوا المصنع السلطاني لبناء السفن[4] "، فتدرب الشباب على الصناعة بأمر من خير الدين قصد الاستفادة[5] .

وفي القرن 16م كانت هناك ورشات لبناء السفن وتصليحها في موانئ بجاية ومدينة الجزائر وشرشال، وتوفر الورشات بهاته المناطق نظرا لتوفر غابات البلوط و الصنوبر لصناعة السفن بخشبها، ثم تم تعويضها بغابات بجاية وجيجل سنة 1702م[6] .

ولمواكبة الصناعة باسطنبول تأسست دار الصناعة في الجزائر في بداية القرن 16م، وذلك بعد رسكلة مجموعة من الشباب وإرسال آخرين ليهتموا ببناء السفن اغلبهم من

---

[1]- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر الحديث، ج2، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص ص 172-173.

[2]- حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص 14.

[3]- يقصد بمضيقها مضيق البوسفور.

[4]- خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص 212.

[5]- نفسه، ص 212.

[6]- أرزقي شويتام، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر...، مرجع سابق، ص 47.

الأعلاج والأسرى، وقد تنوعت السفن وأشكالها ويستورد من قطعها وأكثرها يتم الإتيان بها من الدولة العثمانية أو المعاهدات الثنائية مع الدول الأوروبية[1] .

أ- مميزات السفـن الجزائرية:

استطاع الحكام بناء السفن على النمط الحديث مستفيدين من التحسينات على الصعيد العالمي، ويلاحظ سيطرة المراكب ذات الأشرعة المفتوحة والتي تشابه نفس السفن الأوروبية، لكن الصبغة المحلية لها طابعها، وقد تميزت الوحدات المصنعة بالجزائر بما يلي :

- **المناورة السريعة:**

هذه الميزة كانت الأولوية فيها للقطع المسلحة القادرة على الكرّ و الفرّ لمجابهة كل طارئ و لمباغتة العدو، ولتوفر هذه الميزة يجب استخدام دهن جيد لمقاومة الماء، فيطلى الهيكل الخارجي بالشحم والقطران ليكون الغلاف أملسا ومصقولا، ولا يرجع التحكم والمناورة للسفن فقط بل للجدافين أيضا[2] .

- **خفة الحركة:**

ولأن الغرض هو الهجوم والدفاع لا النقل، تم تجنب الوحدات الفخمة المجهزة بطيئة الحركة، فاكتفوا بما هو ضروري وتجنبوا الزوائد، فكانت الأولوية للغليوطة والشونة والشباك، فالأولى صغيرة وخفيفة الوزن وكأنها طير، والثانية بطول 34 متر وعرض 20متر ومدفع واحد في المقدمة كالسهم فوق الماء وطورت بداية القرن 18م لمجابهة العواصف واستعمال أقل للمجدّفين وذلك لنقص الأسرى العاملين بها، ليحل محلها الشباك سريع الحركة والمناورة الحربية باستعمال الأسلحة الخفيفة طبعا، ويستشهد لهذه الميزة ما

[1]- نوارة بوذراع، التنظيم العسكري للجزائر العثمانية (1518-1830)م، مذكرة مكملة للحصول على شهادة ماستر في التاريخ تخصص، تاريخ الجزائر الحديث، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018، ص 25.

[2]- حليم سرحان، نظرات حول السفن الحربية الجزائرية في العهد العثماني (دراسة هستوريوغرافية)، مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية، جامعة المسيلة ع 9، جويلية 2015، ص 188.

قاله الداي شعبان لملك فرنسا لويس الرابع عشر بأن :"قوالب السفن الجزائرية ومقاييسها معروفة لدى العالم كله"[1] .

ب- أنـواع السفــن:

عرفت الموانئ الجزائرية خلال عهد الدايات وقبلها العديد من المراكب و السفن، والتي تعتبر كأداة أساسية لتحقيق المكاسب و النفوذ، وقد تباينت هذه السفن من حيث الحجم والنوع، وذلك حسب الضغوط والتطورات التي شهدتها الدولة، فمنها ما هو مصنوع محليا، ومنها ما هو مستورد أو قدم لها على شكل هدايا وإتاوات من طرف الدول الأجنبية أو الدولة العثمانية أو ما يصدر كغنائم بحرية[2] ونذكر منها :

- **القالير (La calere)**: وهي سفينة حربية وتجارية، كانت أكثر انتشارا في الأسطول، طولها 50 مترا وحمولتها متوسطة[3]، سرعتها خفيفة .
- **الغليون (Le galion)**: وهي مركب حربي شاع خلال القرون 16 و 17 و 18م، استعمله الأسبان في نقل الذهب والفضة والمعادن الثقيلة من المستعمرات[4] .
- **البريك (Brich)**: مركب صغير الحجم له مجدافان وشراعان مربعان[5] .
- **الدانزيك (Le danzic)** : فلا يعرف مصدرها إن كانت هدية أو تم الاستيلاء عليها، وهي تحمل 58 مدفعا[6] .

---

[1]- حليم سرحان، تطور صناعة السفن الحربية بالجزائر على عهد العثمانيين من خلال المصادر التاريخية والأثرية، مذكرة مقدمة شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2007، ص ص 160-161.

[2]- المنور مروش، مرجع سابق، ص 68.

[3]- يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص 176.

[4]- نفسه، ص 170. أنظر: الملحق (01) صور لأنواع السفن، ص109.

[5]- حنيفي هلايلي، ،مرجع سابق، ص 57. أنظر: الملحق (01) صور لأنواع السفن، ص109.

[6]- نفسه، ص 57.

- **الشباك (Le chebeck)**: وهو اسم سفينة صغيرة، تعرف بخفتها ورشاقتها، وكان لها تسليح قوي في غالب الأحيان، وبحارتها بين 30 و 200 بحارا[1]، أما مدافعها فهي بين 12 و 30 مدفعا ولها 30 مجدافا[2] .
- **الطريدة (La trid)**: وهي سفينة صغيرة سريعة الحركة، خصصت لحمل المقاتلين والذخائر وحتى الخيول في حالة الحرب[3] .
- **الفرقاطة (La fregatte)**: وهي سفينة صغيرة جدا ذات مجاديف، لها عدة أشكال مجسرة أو مكشوفة، وأحيانا أخرى تسمى بالزورق الخاص بالسفينة، وهي نوعان : كبيرة لها 12 مقعدا ومجدافا، أما الصغيرة فلها مقاعد ومجدافين، ففي القرن 17م نصب عليها مدافع وزاد حجمها لتصل طاقتها إلى 40 شخصا[4] .
- **القادرغة (Gadera)**: وكانت تدعى بالعثمانية، وهي سفينة مزودة بشراع له شكل مثلث يبلغ طوله حوالي 45 مترا وعرضها 5.5 مترا، تحمل هذه السفينة من 3 إلى 5 مدافع كبيرة في المقدمة، وإلى عدد من المدافع الخفيفة على الجانبين، وهي سفينة ذات مجاديف[5] .

---

[1]– عبد الرحمان الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، ج2، دط، لبنان، 1980، ص 121. أنظر: الملحق (01)، صور لأنواع السفن، ص109.

[2]– يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص 170، ينظر: علي خلاّصي، الجيش الجزائري في العصر الحديث، ط1، دار الحضارة، الجزائر، 2007، ص 175.

[3]– وردة العابد، الخطط العسكرية للبرية والبحرية بالمغرب الأوسط، مجلة دراسات أثرية، جامعة الجزائر،ع5، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، ج2، الجزائر، 27/26 نوفمبر 2014، ص 148.

[4]– محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16و17م، ط3، دار نشر إفريقيا الشرق، الدار البيضاء – المغرب، 1993، ص 217. أنظر: الملحق (01)، صور لأنواع السفن، ص109.

[5]– جون.ب.وولف، الجزائر و أوروبا (1500–1830)م، ترجمة: أبو القاسم سعد الله ، م و ك، الجزائر، 1986، ص 181.

وهناك أنواع أخرى للسفن منها : الكرافيل، البولاكر الشاطية، العشارية، الفوسته[1] ، القادس، القرقور، الحراقة، اللنجور، الشقف، الفلوكة، الكنبري، الغراب[2] .

ويجدر الذكر أن بعض السفن نسبت لضباطها مثل: الأورشيف للريس الحاج سيتوف، الأهرام للرايس محمد، والكاميرا للرايس دشمان، والمسعود للرايس أحمد عامر[3].

2- وحـدات الأسطول:

كانت النواة الأولى لهذا الأسطول سفينتان التي جاء على متنها عروج وإخوته والعديد من البحارة من المشرق إلى المغرب[4] ، وكان عدد السفن والمراكب مرتبط أساسا بالأعمال البحرية أو المساعدات التي تقدمها الجزائر للباب العالي ، إلى جانب السفن التي تخرج في مهام بحرية تصل مدتها إلى أزيد من سنة[5] ، ويمكن أن نستعرض إحصائيات موجزة عن عدد وحدات الأسطول في عهد الدايات :

فبحلول 1681م ، كان عدد السفن 17 مركبا وسفينتين كبيرتين تحمل 112 مدفعا[6]، وفي سنة 1686م ارتفع عدد السفن إلى 74 مركبا بحريا منها مركبان بكل منها 30 إلى 32 مدفعا ، و 10 سفن ذات صاريين تحتوي كل واحدة على 30 مدفعا ، و 10 سفن ذات صاري كل سفينة بها 14 إلى 20 مدفعا بصاريين وبهما 45 مدفعا ، وحراقة واحدة ذات 20 مدفعا ، و 59 مركب بكل منها 30 إلى 50 مدفعا ، وسفن للنقل والتجارة[7] .

---

[1]- يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص ص 170-171.

[2] - Moulay Belhemissi, Marine et marins d'Alger 1515-1830,Tm1,Bibliothèque national d'Alger, 1996, p 102.

[3]- يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوروبا (1500-1830)م، د ط ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص 24.

[4]- صالح عباد، مرجع سابق، ص 323.

[5]- علي خلاّصي، مرجع سابق، ص 171.

[6]- عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ص 490.

[7]- يحي بوعزيز، الموجز...، مرجع سابق، ص 210.

كما جاء في كتاب ناصر الدين سعيدوني نقلا عن تقرير الدكتور دوكرافطون المؤرخ بتاريخ 14 أكتوبر 1687م أن عدد وحدات الأسطول الجزائري يقدر بـ 60 سفينة ، وكان عدد مدافعها 570 مدفعا[1]، وبكل أشكالها وأنواعها، وفي العقدين الأولين من القرن الثامن عشر قدر حجم المراكب بـ 24 سفينة[2].

وحسب الدراسة التي قدمها "ألبيرت دوفلوكس"، والذي عدد وحدات الأسطول الجزائري في بعض السنوات من عهد الدايات ، وهي كما يلي : في سنة 1770م، كان بالأسطول 13 سفينة تحمل 196 مدفعا، وقد تناقص هذا العدد في سنة 1775م، فكانت 9 سفن وتحمل 38 مدفعا ، وقد وصل عددها سنة 1777م، إلى 18 سفينة تحمل 248 مدفعا ، أما في عام 1779م قدر عدد السفن بـ 19 سفينة تحمل 280 مدفعا ، وقد تزايد هذا العدد فوصل إلى 28 سفينة تحمل 360 مدفعا سنة 1780م، لتتراجع إلى 7 سفن سنة 1791م ، أما في عام 1792م فكانت عدد المراكب 10 سفن تحمل 326 مدفع ، وقد تزايدت إلى أن وصلت لـ 14 سفينة عام 1820م[3].

أما ما أورده خلاّصي نقلا عن التقرير الذي قدمه بوتان سنة 1808م، فإن أسطول الجزائر كان يتكون من ثلاث بوارج تحمل 138 مدفع، وسبعة أشبال بـ 12 إلى 32 مدفعا ، و 10 شالوبات جديدة ، و50 من الصنع القديم و لومنتان لحماية الميناء ، وعدة بوارج وقرصان صغيرة تحمل ما بين 4 إلى 6 مدافع[4].

وفي استزادة من القنصل الأمريكي وليام شالر، فيقدر عدد وحدات الأسطول الجزائري قبل عقد الصلح مع و.م.أ أنه كان بالجزائر 4 بوارج حربية تحمل ما بين 6

---

[1]– عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ص 491.

[2]– ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان، 2000، ص 194.

[3]–Albert Devaux , la marine de la régence d'Alger , RA,1869, p 419.

[4]– علي خلاّصي، مرجع سابق، ص 175.

إلى 30 مدفع، بالإضافة لسفينة مزودة بصاريتين وتحمل 20 مدفع، وأخرى ذات مجاديف مزودة بـ 4 مدافع ، وزيادة على ذلك 30 زورقا حربيا[1].

وفي عام 1821م بقي نفس عدد مراكب 1820م ، ومن ضمنها مفتاح الجهاد ذات 62 مدفعا ، وابن الخواص ذات 20 مدفعا ، والفارسية ذات 46 مدفعا ، وفوز الإسلام ذات 24 مدفعا ، والمجيبة ذات 16 مدفعا[2] .

وفي سنة 1825م، حسب المترجم بيانكي وما قدمه في تقريره ، يوجد بميناء الجزائر 15 باخرة مختلفة الأنواع و الأشكال ، وسفينتين من نوع بريقانتين مزودة بـ 34 مدفعا[3].

وفي سنة 1829م ارتفع العدد إلى 9 قطع منها: فرقاطة ذات 34 مدفعا، وكوفريت ذات 40 مدفعا، و2 بولاكر كل منها ذات 22 مدفعا، وبريك ذات 14 مدفعا، و3 قوليت ذات 12 مدفعا، ويضاف إليها مجموعة من القطع بموانئ: وهران ، تنس، دلس، عنابة وكان مجموع بحارتها 3260 بحارا[4]، أما في السنة الموالية (1830م) ، ارتفع العدد إلى 44 قطعة منها فرقاطة قديمة غير مسلحة و كوفريت قديمة، و4 بريكات ذات 10 مدافع، وقوليت بريك و4 قولج مركبا مسطحا ذات مدفع واحد، وفرقاطة في طور البناء و2 قوليط[5] .

وبعد الحملة الفرنسية والاستيلاء على مدينة الجزائر ، بعث الأميرال "دوبيري" تقريرا سنة 1830م ، يوضح فيها ما يتواجد بميناء الجزائر وهي كالتالي: سفن صالحة من بينها

---

[1]– وليام شالر، مذكرات القنصل الأمريكي في الجزائر (1816–1824)م، تعريب: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 62.

[2]– يحي بوعزيز، الموجز...، مرجع سابق، ص 211.

[3] – علي خلاصي، مرجع سابق، ص ص 176–177.

[4] –Moulay Belhemisi, Histoire, OP–cit , P168.

[5]– يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوروبا ...، مرجع سابق، ص ص 84، 88.

7 بريقانتين و18 شباك تحمل بين 8 إلى 22 مدفعا، وبارجة يبلغ طولها 28 مترا، وقربيطا به 38 مدفعا[1].

إن هذه الأرقام هي تقديرية تقريبية، وتزايد وتناقص عدد الوحدات مرهون بالظروف التي تعيشها الدولة ، فمثلا معظم الأسطول احترق في حملة اللورد إكسماوث 1816م[2] .

ولابد أن ضعف الوازع الديني سبب آخر قوض الالتحاق بالبحرية، وذلك بعدما اشترت الدول الأوروبية ودّ الجزائريين مقابل الإبحار بأمان، كما أن نقص الأخشاب وانتشار الأوبئة لعب بدوره الابتعاد عن النشاط البحري بين (1713-1818)م وكان أخطرها مرض الطاعون الذي انتقل عن طريق البحارة[3] .

[1]- علي خلاّصي، مرجع سابق، ص 177.

[2]- للإشارة حملة اللورد إكسماوث سيأتي التفصيل عنها في الفصل الثالث.

[3] - JEAN André Peysonnel , voyages dans les régences de Tunis et d'Alger , libraire de cide , paris ,1838, p448.

ثانيا/ تنظيم البحرية الجزائرية

1- طـائفة الريــاس:

كانت البحرية القوة الأولى التي اعتمد عليها العثمانيون في بسط نفوذهم في البلاد والدفاع عنها ، وتكونت نواتها في البداية من البحارين الذين التحقوا بالأخوين عروج وخير الدين من المشرق، وبعد أن انطوت الجزائر تحت الحماية العثمانية، اهتم حكامها الأوائل أيما اهتمام بتعزيز نشاط البحرية وتنظيمه، فأنشأت في هذا السبيل طائفة الرياس التي اتخذت من مرسى الجزائر قاعدة لها.

ونظرا لما تفعله هذه الطائفة، فقد كانت محبوبة من الشعب نظير حمايتهم من غزوات العدو، وقد كانت غنية أيضا نتيجة عائدات البحر[1]، وقد كانت منظمة جدا رغم الاختلاف في أصلهم و جنسيتهم[2]، وهي عبارة عن نقابة ربابنة البحر هذا ما ميزها بالاستقلال النوعي على النظام الإداري[3].

أما أعدادهم فتختلف حسب الظروف ، فيزيدون وينقصون، فمثلا في القرن 17م كان عدد الرياس الناشطين 100 وعدد أفرادها من البحارة أكثر من 4000 رجل[4].

أما عن طريقة تعيين الرياس ليكونوا قباطنة، فكان ديوان الرياس يمتحنهم فعليهم أن يكونوا – القباطنة – على دراية ببعض القواعد النظرية لفن الملاحة كمعرفة حركة النجوم وقراءة البوصلة واتجاهات الرياح، وفهم الخرائط الملاحية وحتى الاستعانة بالجبال عند الحاجة[5] .

---

[1]– محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تعليق : محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص 42.

[2]– وليام سبنسر، مصدر سابق، ص 74.

[3]– نفسه، ص 74.

[4] –Grand champ, une mission délicate en barbarie ou XVII siécle , in RT,V30,1937, pp471-472.

[5]– أحمد شريف الزهار، مذكرات أحمد شريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1984، ص 14.

وفي هذا الصدد نجد قول حمدان خوجة: "وهناك أمثلة رائعة عن استعداداتهم الطبيعية ومنهم من يستولون على السفينة بعد رحلتهم الأولى وهم يجهلون مبادئ الملاحة الأولية، وسيما أنهم يعرفون الجبال وقممها معرفة جيدة فقد كانوا يتمكنون من التمييز بدقة بين نقطة وأخرى"[1].

وتجدر الإشارة أن التركيبة البشرية لطائفة الرياس غنية ومختلفة المشارب يوحدها الجهاد في سبيل الله عكس الانكشارية المتكونة من الأتراك والعلوج، هذا الخليط البشري اكسب الجزائر نفسا آخر وقوة متجددة وتقنيات في مجال المعدات الخاصة[2] .

وعند الإطلاع على المصادر نجد أنها أوردت التنظيم الخاص بسفن الجهاد البحري إلى ثلاث فئات رئيسية[3]، وهذا ما يقدمه نور الدين عبد القادر في كتابه صفحات وهي كالتالي :

- **مجموعة القيادة:** وتضم هيئة ضباط السفينة وهم: الرايس: قبطان السفينة، والباش رايس ومساعده، ورايس العسة: ناظر الطاقم والخوجة : كاتب الرايس، والباش جراح (الطبيب) ، الورديان باشي : ناظر الأسرى، رياس الطريق: وهم المكلفون بقيادة الغنائم، باش دمانجي : مدير الدفة[4].
- **مجموعة المناورة:** التي كانت تضم ملاحي السفينة والعمال المتخصصين المكلفين بالمناورة والصيانة، وهم: اليارقانجي والغارده كابو والبريتاجي، الذين يتولون الأشرعة في السفن ثلاثية الصواري، والدمانجي ملاح الدفة، والصندل رايس رايس القارب، والمسترداش معلم النجار، والقلفاط الذي يسهر على دهن بدن

---

[1]– حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تحقيق: محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص155.

[2]– عائشة غطاس وآخريات، مرجع سابق، ص 95.

[3]– أمين محرز، مرجع سابق، ص 36.

[4]– عبد القادر نور الدين، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، كلية الآداب الجزائرية، قسنطينة، 1965، ص 82.

السفينة، والعنبرجي مسؤول مخرن المؤونة، والخزناجي مسؤول مخزن الذخيرة، وكيل الحرج مسؤول التموين... إلخ، وكانت نسبة معتبرة منهم ومن الأعلاج والأسرى المسيحيين وينقسمون إلى قسمين: البحرية وهم بحارة مقدمة السفينة، والسوته رايس ربابنة المؤخرة، كما كان يوجد على بعض أنواع السفن عدد من الأرقاء المجدفين يدعون بالكراكجية[1].

- **المجموعة القتالية:** وكانت تتكون أساسا من بعض وحدات الإنكشارية تحت قيادة آغا برتبة بلوكباشي، يساعده شاوش وعدد معين من الأوضاباشية ووكلاء الحرج، كما كان هناك جماعة طوبجية تحت إمرة باش طوبجي تتولى مدفعية السفينة[2] .

وكل المسؤولية كانت تقع على عاتق القبطان من قيادة الأسطول وحماية السواحل، وكذلك العلاقات مع الدول المسيحية، ومقره يوجد بكشك الأميرالية الموجود عند طرف رصيف الميناء، وهناك يعقد تحت رئاسته اجتماع الرياس المعروف بالمجلس أو بالأحرى ديوان البحرية[3] .

[1]– أمين محرز، مرجع سابق، ص 36.

[2] – عبد القادر نور الدين، مرجع سابق، ص 82.

[3]– أمين محرز، مرجع سابق، ص ص 38 – 39.

2- ديـوان البحريـة:

كانت عملية الغزو منظمة لها هياكلها ومؤسساتها ولم تكن عشوائية ، حيث أضفى عليها ذلك طابع العملية الحكومية، بعيدا عن النرجسية، وفي إطار إعادة التنظيم الأساسي لبنية الحكم أنشئت هيئات قيادية جديدة في البحرية، استمرت لغاية 1830م، وأخذ ذلك عدة محاولات لذلك[1]، ومن بين أهم هذه الهيئات لتنظيم عملية الغزو وشؤون البحرية نجد:

ديوان الرياس:

يعتبر هذا الديوان من الهيئات الجديدة المنبثقة عن الديوان العام، أما فكرة إنشائه ينقلها المنور مروش فيقول أن مبادرة ذلك تعود لمزومورتو فحسب رسالة للقنصل الفرنسي، مؤرخة بتاريخ 23 أفريل 1687م، موزومورتو جمع الديوان ثلاث مرات لمناقشة مسألة السلم مع فرنسا، وهذا أن للديوان نفوذ كبير في السلطة، ونظرا لتاريخ الرسالة فقد كان موجودا قبل ذلك[2] .

اختصاصاته: يهتم بالشؤون الهامة المتعلقة بالغزو البحري ، واختص بتطبيق العدالة على جميع أفراد البحرية الذين تصدر منهم الأفعال المخلة بالانضباط أو التعدي على القانون، كل قراراته كانت خاضعة لموافقة الداي فله الحق في نقضها، وهذا دليل على مدى قانونيتها في تطبيق أحكام البحرية، وكان يرأسه وكيل الخرج[3].

إضافة لذلك فقد تعددت اختصاصاته إلى تقرير مصير الغنائم والأسرى ومراقبة السفن وإقرار السلم والحرب[4].

الديوان كان يستدعي جميع الرياس ويترأس جلساته القبطان رايس، وأحكامه تصدر وفق رأي الأغلبية، وكان يحضره كبار موظفي الدولة وهم:

---

[1]- المنور مروش، مرجع سابق، ص 400.

[2]- نفسه، ص 401.

[3]- L.Chaillou, textes pour servir à l'histoire de l'Algérie au XVIII siécle ,Toulon ,1979, p 24.

[4]- أرزقي شويتام، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر...، مرجع سابق، ص ص 53-54.

- **قايد المرسى:** وهو المسؤول عن الميناء ، يعاين السفن الصادرة والواردة وكان يختار لهذا المنصب أحد الرياس المحنكين[1].

- **وكيل الحرج أو الخرج:** وهو وزير الحربية والمسؤول الأول عن التموين والقيام على أعمال دار الصناعة "صناعة السفن"، تراجع دور وكيل الحرج مع تراجع النشاط البحري[2] .

- **خوجة الغنائم:** من مهامه بيع وجرد الغنائم، وقسمة دخلها بين المستحقين، بعد اقتطاع حق البايلك.

- **باش ورديان باشي:** الناظر العام لسجون الأسرى في مدينة الجزائر، وكان يشرف على الوقوف لاستعدادات سفر السفن، وتوزيع عدد المنحرفين واللاحقين الأسرى متنها[3].

- **القابودان:** القائد العام للأسطول عند خروجه ، تراجعت مهمته بعد تعاظم قوة وكيل الحرج، رغم محاولات بعض الحكام لإحياء رتبة القابودان[4] .

نستخلص أن طائفة الرياس عملت على تنظيم شؤون البحرية وهياكلها نظرا لتمتعها بنوع من الاستقلالية خاصة بداية من القرن 17م، وذلك لتوفر مداخيل الخزينة من عائدات البحر، كل هذا بفضل التكامل بين هياكلها، بحيث عمل ديوان الرياس على التنسيق بين الرياس والسلطة، وبهذا تم القضاء على النزاعات التي كانت تؤثر سلبا على نشاط البحرية بصفة عامة وحتى عائداتها.

---

[1]- يحي بوعزيز، الموجز...، مرجع سابق، ص 174.

[2] - حمدان خوجة، مصدر سابق، ص 80.

[3] - حنيفي هلايلي، مرجع سابق، ص 55.

[4]- نفسه، ص 53.

الفصل الثاني:

أدوار البحرية الجزائرية

أوّلا/ الدور السياسي

1- داخليا

2- خارجيـا

ثانيا/ الدور العسكري

1- الحروب مع أوربا

2- الحروب مع أمريكا

ثالثا/ الدور الاقتصادي

1- التجارة

2- مداخيل الخزينة

تمهيـد:

شكّلت إيالة الجزائر العثمانية قطبا ضخما في دار الجهاد البحري على مستوى حوض البحر الأبيض المتوسط مشرقا ومغربا، وذلك بفعل بحّارتها الشجعان، وذلك منذ مطلع القرن 16م وإلى غاية نهاية القرن 19م، وكان للبحرية الجزائرية الأثر البالغ في التأثير على الحياة السياسية والسيطرة العسكرية والقوة الاقتصادية، فكانت بهذا شوكة تقلق راحة الدول الأوربية وأمريكا.

وفي هذا الفصل سنحاول معالجة كيف وصلت طائفة الرياس إلى سدّة الحكم وصراعها مع الجند الانكشاري، وكذلك نتطرّق لدعم القوة البحرية للباب العالي في حروبه الأوربية، ونذكر الحرب الأمريكية الجزائرية 1815م، دون أن ننسى قوة الأسطول البحري الجزائري ومساهمته في التجارة داخليا وخارجيا، وكيف كان يجلب الغنائم البحرية والأسرى من الدول المعادية، وكذلك الحديث عن الدول الصديقة وتقديمها للإتاوات والهدايا.

أوّلا/ الدور السياسي

1- داخليا:

أ- دور الريّاس في تعيين الدايات

- الداي الحاج محمد التريكي:

إنّ انهيار نظام الأغوات كان حتمية حاضرة، إذ لم يدم إلا اثني عشر عاما، وذلك لأنّ نظام الأغوات كان عبارة عن فوضى مستمرة[1]، حيث كان هناك صراع ومنافسة عمياء على السلطة، كذلك كانت عملية اغتيالات الأغوات مفزعة لكثير ممن أراد الحصول على منصب الأغوية، وعليه تراجعت رغبتهم في تولي هذا المنصب، وبهذا عجز الديوان عن تعيين أغا لتولي سدّة الحكم[2]، وفي خضم كل هاته الأوضاع تدخلت طائفة الرياس التي لم تكن راضية على سياسة علي أغا متهمة إياه باللامبالاة تجاه البحرية التي تتعرّض لضربات الدول الأوربية، كما أعابت عليه سياسته تجاه فرنسا[3]، فبادرت طائفة الرياس ورشّحت الحاج محمد التريكي لحكم البلاد، حيث لقي هذا الخبر موافقة لدى أكابر أوجاق الانكشارية، وذلك كحتمية فرضتها الظروف الراهنة عليهم، فذهب جمع من الطرفين إلى دار الإمارة لتحرير القبطان من السجن، وعرضوا عليه الأمر فقبل محمد التريكي بالمنصب بشرط أن يمنح مفاتيح القصبة والسلطة على كل شيء، وبالفعل تمّ التفاهم بين أعضاء الديوان على انتخاب الحاج محمد التريكي دايا على الجزائر، وبهذه التحولات السياسية السريعة انتهت فترة الأغوات على يد رياس البحر[4].

لقد تغيّرت مقاليد السلطة بحلول نظام الدايات نوعا ما، بحيث ازداد نفوذ الموظفين السامين ذوي الوظائف الحيوية وتدعّمت سلطة الدايات وأصبح مجلس الديوان وعلى رأسه

---

[1]- مبارك بن محمد الهلالي الميلي، مرجع سابق، ص181.

[2]- أمين محرز، مرجع سابق الجزائر، ص134.

[3]- صالح عباد، مرجع سابق الجزائر، ص132.

[4]- أمين محرز، مرجع سابق، ص136-137.

الكاهية مجرّد هيئة تقليدية ملزمة بقبول قرارات الداي ومساعديه من الموظفين السامين، ومن بين هؤلاء الموظفين وكيل الحرج الذي كان يراقب النشاط البحري وأعمال الترسانة البحرية ويشرف على تهيئة عتاد الحرب وتوزيع غنائم البحر[1].

لقد أبقت طائفة الرياس على بعض التقاليد السياسية التي كانت في عهد الأغوات كمنصب الباشا الذي يعد ممثّلا للباب العالي في إيالة الجزائر، وبهذا استمرت الدولة العثمانية ترسل الباشاوات إلى الجزائر[2].

- الداي بابا حسن (1682م- 1683م):

قبل أن نتحدث عن الظروف التي جاء بها تعيين بابا حسن كداي للجزائر كانت هناك حرب ومشاكل عالقة بين الجزائر وفرنسا تعود لسنة 1671م فترة حكم الداي محمد التريكي التي تحدثنا عنها آنفا، فكان صهره بابا حسن يدير معظم أعماله، وكان صعبا وظالما وخبيثا، بحيث لم يعقد الداي العجوز محمد التريكي مع فرنسا أي علاقات حسنة لأنّ صهره أفسد عليه ذلك، وتزامنا مع هذه الوضعية كانت فرنسا من جانبها وبقيادة ملكها لويس الرابع عشر تنظر إلى نفسها بعين العظمة والكبرياء، وذلك من خلال مماطلتها في عملية المفاوضات التي دارت بين قناصلها وحاكم الجزائر حول قضية الأسرى الجزائريين والفرنسيين وكيفية وضع الشروط حول التسليم والاستلام بالنسبة لأسرى الدولتين، فأصبحت العلاقات أكثر توترا[3]، حتى أعلنت فرنسا الحرب على حكومة الداي فأرسلت حملة عسكرية بقيادة الأميرال الفرنسي "دوكين" يوم 12 جويلية 1682م قوامها ثلاثون سفينة حربية لمهاجمة شرشال ومدينة الجزائر[4].

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979، ص26-27.

[2]- صالح عباد، مرجع سابق، ص139.

[3]- عزيز سامح ألتر، مرجع سابق، ص415، 416، 418، 420.

[4]- عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000، ص100.

وحين سمع الداي العجوز بذلك أدرك أنّ الموقف يحتاج إلى مواجهة قوية وصلبة، وأنّ الحكم بيد صهره فهرب سرّا على متن سفينة وتوجّه بها إلى طرابلس الغرب (ليبيا)، واستقرّ فيها تاركا لصهره الحكم ومواجهة الفرنسيين[1]، أمّا ابن ميمون فيذكر في كتابه التحفة المرْضية أنّه أحسّ بمكيدة تحاك له لاغتياله فقرّر النجاة بنفسه، وهكذا يكون قد ترك لصهره بابا حسن تولي منصبه كداي[2].

- الداي حسين ميزومورطو:

لطالما تعود التحولات السياسية في هرم الحكم لوجود بلبلة ونزاعات، وهذا ما ميّز ولاية الداي محمد التريكي الذي سبق ذكره، حيث ومنذ اعتلائه حاكما على إيالة الجزائر كان في حرب شدّ وجذب مع فرنسا حول قضية الأسرى الفرنسيين والجزائريين، والتي تنسب وقائعها للمعاهدة التي أبرمت سنة 1679م، وقد تمّت المفاهمة سنة 1681م على إطلاق سراح الأسرى من الجانبين، وبعد أن أوفت الجزائر بالتزاماتها وأطلقت الأسرى الفرنسيين، رفضت فرنسا إطلاق سراح الأسرى الجزائريين، هنا غضب الديوان الجزائري وأعلن الحرب ضد فرنسا، وسرعان ما قام الرياس الجزائريون بالاستيلاء على 29 سفينة فرنسية، و300 أسير، فكان ردّ الفرنسيين أن سيّروا حملة بقيادة الأميرال دوكين في جويلية 1682م، تمّ فيها قذف مدينة شرشال مرارا حتى عادت الحملة أدراجها دون نتائج تذكر في خريف السنة نفسها وذلك تزامنا مع تنصيب بابا حسن كداي على الجزائر[3]، قرّرت فرنسا إرسال دوكين مجدّدا وحينما وصل إلى العاصمة بدأ مفاوضات مع بابا حسن توصل فيها الطرفان إلى أن يقوم داي الجزائر بإطلاق سراح الأسرى الفرنسيين وتقديم عدد من الرياس كرهائن، وكان من بينهم الرايس حسين ميزومورطو، وقد أرسله الداي خوفا من أن يتسبّب في إحداث ثورة في الجزائر ويتخلص منه.

---

[1]- عزيز سامح ألتر، مرجع سابق، ص420.

[2]- محمد ابن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص18-19.

[3]- مبارك بن محمد الهلالي الميلي، مرجع سابق، ص189.

بعد هذا كلّه دخلت المفاوضات مراحلها الحاسمة، وكان بابا حسن راضيا وراضخا لشروط الفرنسيين التعجيزية لأنّه قبل دفع خسائر الحملة، وفي هذه الأثناء كانت مدينة الجزائر منقسمة فالأهالي والانكشارية يريدون الصلح والسلم، أمّا الرياس من مؤيدي الحرب.

كانت الأخبار تصل لحسين ميزومورطو من الأشخاص المتردّدين على السفن، ولأنّه ذو حنكة سياسية وذكاء لا مثيل له أقنع دوكين بأنّه يستطيع الرجوع للجزائر وحلّ ما عجز عنه الداي بابا حسن فأطلق سراحه وفور وصوله اجتمع مع طائفة الريّاس[1].

وفي ظل التخبط والفوضى استغل الحاج حسين ميزومورطو الوضع وقام بقتل الداي بابا حسن واستولى على منصبه وأعلنها حربا شعواء على الأسطول الفرنسي، وتمكّن من ردّه إلى ميناء طولون.

وهنا نتساءل هل كان تصرّف حسين ميزومورطو بمحض الصدفة وأنّه لم يخطّط لتحركاته؟ أم أنّه فعل ذلك عمدا ودبّر أمره؟، والراجح أنّ الرأي الثاني أقرب إلى الصواب ومردّ ذلك أنّه يملك كفاءة القائد ونباهة السياسي[2]، كذلك نذكر أنّه استطاع أن يجمع بين منصبين فبالإضافة لمنصبه كداي تقلّد منصب الباشا سنة 1684م، فعارض مجيء الوالي العثماني الباشا وأنهى ازدواجية السلطة في إيالة الجزائر[3].

- الداي شعبان (1689م- 1695م):

تعتبر العديد من الدراسات التاريخية الحديثة أنّ الحاج شعبان آخر رياس البحر الذين تولّوا منصب الداي في إيالة الجزائر العثمانية[4]، وبالحديث عن ولاية الداي شعبان وجب علينا تقديم الإرهاصات الأولية للأوضاع السياسية التي سبقت مرحلته، والتي

---

[1]- عزيز سامح ألتر، مرجع سابق، ص423-424.

[2]- محمد ابن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص20.

[3]- ابن المفتي، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمع: فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ص56.

[4]- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر من 1830م إلى 1989م، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص17.

ارتبطت بالداي حسين ميزومورطو سالف الذكر، حيث قام هذا الأخير بعقد معاهدة مع فرنسا التي ارتبطت بصراع مع الجزائر منذ بداية عهد الدايات سمّيت بمعاهدة "مارسيال ويليام"، والتي نصّت على تطبيق معاهدة "تورفيل" مع إدخال بعض التعديلات الطفيفة عليها، هذه المعاهدة أبرمت دون علم الجيش الجزائري، حيث انفرد الداي حسين ميزومورطو مع المبعوث الفرنسي، وهذا ما لم يتقبله الديوان[1]، هنا كانت نقطة التحوّل، حيث تدخّلت بعض المفارز التي كانت في رحلتها بصدد جمع الضرائب، فبعد عودتها وقبل دخولها للمدينة اجتمعت في مقر قيادة الجيش وأعلنت تمرّدها وعصيانها، وبدأت تهتف نريد رأس حسين باشا، لكن الداي حسين حاول مع أنصاره التصدّي للمتمردين دون جدوى، فانسحب إلى تونس ومنها توجّه إلى استانبول، وبعد فراره أجمع المتمردون على انتخاب شعبان أغا دايا عليهم[2].

ب- الصراع على السلطة بين الريّاس والانكشارية:

إذا كان التنافس الذي نشب بين طائفة الريّاس وجنود الانكشارية ولّد عدم استقرار الحكم إذ مر بأربعة عهود متباينة، فإنّه من جهة أخرى ساهم في تداول السيطرة بين القوتين على منصب الداي[3]، وبهذا كان الصراع محتدما بين الجيش البري والجيش البحري (طائفة الرياس)، حيث رغبت كل طائفة أن يُختار الداي من بين رجالها[4]، أيضا فإنّ العامل الاقتصادي كان حاضرا في تصادم الفئتين، ذلك أنّ غنى رجال الطائفة وقصورهم الجميلة عل شاطئ البحر كانت تروق الانكشاريين الحاسدين القادمين من أماكن فقيرة يدفعهم حلم الإثراء السريع والذين لم تكن الحملات البرّية التي يقومون بها

[1]- عمار عمورة، مرجع سابق، ص100.

[2]- عزيز سامح ألتر، مرجع سابق، 431.

[3]- أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800- 1830)، ط1، دار الكتاب العربي للنشر التوزيع، الجزائر، 2011، ص52.

[4]- ابن المفتي، مصدر سابق، ص17.

ضد الأهالي تجلب لهم ما كانت الحملات البحرية تجلب للطائفة[1]، وإذا نظرنا إلى الهالة الاجتماعية التي كانت يحضا بها رياس البحر فإنّنا نجدهم محبوبين ومرغوبين من طرف الأهالي عكس ما كانت عليه فرقة الانكشارية، والسبب يعود إلى نوعية النشاط البحري الذي مارسته الطائفة ومساهمة غنائم الجهاد البحري في تمويل الخزينة العامة لإيالة الجزائر وتوفير الغذاء عندما تحلّ المجاعة، وبالتالي أضحت البحرية تتمتع بشعبية كبيرة وثروات وافرة، هذا الوضع أثار حسد الانكشارية كذلك[2].

ربما انتهت خطة التهدئة التي اتبعها الانكشارية بانعزالهم عن السلطة لمدة من الزمن والترقب من بعيد إلى حين استرجاع النفس واستغلال الفرصة المناسبة للعودة إلى الواجهة السياسية[3]، فقد تميز عهد الدايات الأربعة الأوائل (محمد التريكي، بابا حسن، حسين ميزومورطو، الداي شعبان) والذين ينتمون لطائفة الرياس[4] بعدة ظروف داخلية وخارجية ساهمت في تحييد طائفة الرياس عن السلطة، فأصبح الدايات يعيّنون من ضباط الجيش البري[5]، ومن بين هذه الأسباب والظروف نذكر ما يلي:

– ازدياد المقاومة الأوروبية وتحسين دفاعاتها وتنظيمها[6]، وحالة العداء التي تتسم بها العلاقات الجزائرية الانجليزية[7]، وأيضا تعرض السواحل الجزائرية إلى عدة غارات بحرية فرنسية كبّدت البحرية الجزائرية أضرارا بالغ ة[8] ، كذلك ضعف نوعية وعدد

---

[1]– محمد خير فارس، تاريخ الجزار الحديث من الفتح العثماني إلى الاستعمار الفرنسي، ط2، مكتبة دار الشرق بيروت، 1979م، ص95.

[2]– حنيفي هلايلي، مرجع سابق، ص130، 131.

[3]– مصطفى بن عمار، الصراع على السلطة في الجزائر في عهد الدايات (1671م–1830م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2009م–2010م، ص90.

[4]– أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر...، مرجع سابق، ص22.

[5]– ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ...، مرجع سابق ، ص143.

[6]– وليم سبنسر، مصدر سابق، ص89.

[7]– محمد ابن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص26.

[8]– أرزقي شويتام نهاية الحكم العثماني في الجزائر...، مرجع سابق، ص22.

رجال البحر[1] كان من العوامل المساهمة في ضعف الأسطول البحري[2]، ونتيجة لذلك تراجعت الغنائم البحرية بشكل ملحوظ[3].

– الحملات مشرقا ومغربا مع كل من تونس والمغرب الأقصى، وذلك في عهد الداي شعبان، حيث خاض هذا الأخير معارك متعددة مع تونس الأمر الذي جعل الجنود يستاءون من الحرب التي دامت ثلاث سنوات، فثاروا ضده وقاموا بسجنه ثم قتله[4]، وانتخبوا رجلا مسنا ومريضا اسمه "أحمد أعجي" الذي كان يشتغل بترقيع الأحذية ليكون حاكما جديدا وأنّه يمضي فقط، أمّا الكلمة العليا في الحكم فهي للانكشارية[5]، وبهذا أصبح أصبح الجند الانكشاري يدبر المؤامرات للإطاحة بالحكام واغتيالهم فأضحى يولي من يشاء ويعزل من يشاء، فانحرف عن مساره، وكان سببا في عدم وجود الاستقرار السياسي[6].

وإذا كان الرياس قد تنازلوا عن الحكم لصالح الانكشارية فهذا لا يعني القطيعة فالمتتبع لتاريخ التنافس بين الانكشارية ورجال البحرية وكأنّه تداول عن السلطة، لكن بطريقة عسكرية تتسم بالقوة والنفوذ، وعلى الرغم من هذا فقد كان لكل طائفة دورها في الحفاظ على إيالة الجزائر[7]، كما أن لهما مصالح متكاملة تشدهم إلى بعضهم البعض فمهما بلغ ثراء رجال البحر فليس بإمكانهم الاستغناء على مساعدة الجند الذين كانوا يقومون بالمحافظة على الأمن في الداخل والدفاع عن الجزائر، فيتيحون بذلك لرجال

---

[1]– محمد بن سعيدان، الأسطول البحري ودوره في إيالة الجزائر خلال القرن 11هـ/17م، مجلة الحوار المتوسطي، مج 12 (13)، جامعة الأغواط، ديسمبر 2017م، ص88.

[2]– حنيفي هلايلي، التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية في العهد العثماني، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية دورية أكاديمية متخصصة محكمة تعنى بالدراسات الإسلامية والإنسانية، ع 24، جامعة سيدي بلعباس، ذي الحجة 1428 – ديسمبر 2007، ص265.

[3]– محمد بن سعيدان، مرجع سابق، ص88.

[4]– حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري ...، مرجع سابق، ص95.

[5]– محمد ابن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص25.

[6]– عائشة غطاس وأخريات، مرجع سابق، ص88.

[7]– مصطفى بن عمار، مرجع سابق، ص90.

البحر التفرغ للنشاط البحري، وكذلك الأمر بالنسبة للجند فمهما بلغت قوة الجند وكثرتهم فليس بإمكانهم أن يفرضوا إرادتهم المطلقة على رجال البحر، لأنّ غنائم هؤلاء تدعم خزينة الإيالة، وبالتالي دفع مرتبات الجند إضافة إلى صدّ الحملات الخارجية[1].

2- خارجيا:

أ- العلاقات مع الباب العالي:

للحديث عن العلاقات السياسية بين الجزائر والباب العالي يجب الإشارة إلى علاقات التعاون والمساعدات المتبادلة والتي كانت بذرتها الأولى الدعم الذي قدّمه السلطان العثماني "سليم الأول" إلى الأخوة بربروس[2]، وفي المقابل كانت إيالة الجزائر تدين بالولاء للدولة العثمانية باعتبارها راية الخلافة الإسلامية، فجمع بينهما رابط الدين والسياسة والتاريخ[3]، وبحكم هذه الصلات كانت الجزائر الحليف الدائم للدولة العثمانية سواء في أيام السلم والدعا أو الحرب، وتظهر مساندة البحرية الجزائرية للدولة العثمانية في الكثير من الحروب التي خاضتها ومن أشهرها الحرب الروسية العثمانية في سنة 1787م[4]، وهكذا كان الأمر دائما مع إيالة الجزائر حيث يبرز دورها في مساعدة الباب العالي ضد التكتلات الأوروبية، فشاركت في معركة نافارين 1827م التي تعتبر من أعنف المعارك البحرية في العصر الحديث إلى جانب أساطيل الأيالات التابعة للخلافة

---

[1]- حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري ...، مرجع سابق، ص132.

[2]- مولود قاسم نايت بلقاسم، هيبة الجزائر الدولية ومكانتها العالمية قبل 1830م، ج1، دار الأمة، الجزائر، 2012، ص80.

[3]- عبد القادر فلوح، العلاقات الجزائرية- العثمانية في الفترة (1233- 1246هـ الموافق لـ 1818- 1830م) على ضوء وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر تخصص العلاقات بين المشرق والمغرب، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر – 2 – بوزريعة، 2009- 2010م، ص19.

[4]- مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق، ج1، ص81.

العثمانية (مصر، تونس، طرابلس الغرب)[1]، وتشيد بعض الدراسات الحديثة بالمشاركة المشرفة للأسطول الجزائري في حروب اليونان والقرم، وما سبقتها من أعمال بحرية، وتُبرِز الحضور القوي للبحرية الجزائرية وهذا إن دلّ إنّما يدلّ على دور إيالة الجزائر ومكانتها الدولية في حوض المتوسط[2].

ولا يجب إغفال أنّ العلاقات الجزائرية العثمانية تباينت نوعا ما، ففي عهد الدايات نلاحظ استقلالية إيالة الجزائر استقلالا نسبيا[3]، إذ تعتبر فترة الدايات الثانية (1711م-1830م) مرحلة متميزة فقد توقف فيها إرسال الباشاوات من قبل السلطان العثماني، وبالتالي استطاع حكام الجزائر القضاء على الازدواجية في الحكم[4]، وظهور اسم إيالة الجزائر على شاكلة جمهورية الجزائر الذي كان في نصوص المعاهدات والمراسلات مع الدول الغربية، فكانت قرارات عقد السلم وإعلان الحرب تجري بأمر من حكام الجزائر دون ترخيص من استانبول[5]، وبهذا الوضع أصبحت الجزائر قوة حليفة للدولة العثمانية أكثر منها قوة تابعة لها[6].

ب- العلاقات مع الدول الأوروبية:

إنّ هيبة الجزائر الدولية ومكانتها العالمية دائما ما كانت مبنية على عوامل داخلية وأخرى خارجية، وفي هذا الصدد يقول المؤرخ الألماني يوري سيميونوف: "ليس الفرنسيون فقط هم الذين كافحوا القراصنة الجزائريين، بل جميع الأمم بدون أي استثناء كافحت هذا

---

[1]- ثامر بدر، أيام لا تنسى(صفحات مهمة من التاريخ الإسلامي)، تقديم: راغب السرجاني، ط1، دار أقلام للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة مصر، 1432هـ/2011م، ص245.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ...، مرجع سابق، ص330.

[3]- مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق، ج1، ص81.

[4]- خليفة إبراهيم حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من 1798م إلى 1830م، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث المعاصر، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1408هـ/1988م، ص149.

[5]- مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق، ج1، ص81، 82.

[6]- خليفة إبراهيم حماش، مرجع سابق، ص149.

الوباء البحري، كافحه الانكليز والهولنديون والاسبان والجنويون والنابليون، ولكن كفاحهم ظل بدون جدوى"[1].

ونظرا لهذه القوة البحرية العظيمة سعت معظم الدول الأوروبية إلى ضرورة بناء علاقات التقارب مع الجزائر، وذلك لعجز الدول المسيحية على الوقوف في وجه الجزائر وبحارتها[2]، ومن أهم هاته الدول:

- فرنسا:

عرفت الفترة الممتدة ما بين (1674م-1675م) السلم والهدوء بين الطرفين وكان الصلح بين الجزائر وفرنسا راجع إلى وضع الجزائر داخليا واهتمام الرياس بمهاجمة سواحل صقلية وايطاليا واسبانيا وحتى السواحل البرتغالية، ومن هنا نلاحظ أن دور البحرية جد مؤثر في العلاقات الخارجية فعدم تعرضها للسفن الفرنسية كان عاملا مشجعا على الأمن والسلم[3].

وفي أواخر سنة 1675م تمّ استبدال القنصل "دارفيو" بالقس "لوفاشيه" لإدارة القنصلية بالجزائر، حيث كان الوضع متذبذبا وحرجا وقطيعة في العلاقات بين البلدين خاصة إذا علمنا أن الجزائر كانت في هذه الآونة تتعرض للهجمات والغارات من طرف الدول الأوروبية، واتهم الداي فرنسا بسكوتها عن بحارتها الذين يعملون في أساطيل الأعداء ويشاركون في الاعتداء على الجزائر[4]، وظلت القطيعة بين البلدين واستمرت سفن

---

[1]- مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق، ج1، ص73.

[2]- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج1، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص248.

[3]- محمد الأمين عطلي، نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية، ملخص مذكرة شهادة الماجستير في تخصص التاريخ الحديث، قسم التاريخ، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي بغرداية، 2011م-2012م، ص140.

[4]- يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية ...، مرجع سابق، ص83.

سفن البلدين تأسر وتغنم بعضها البعض كلما سمحت الفرصة، وفي الفترة القادمة قامت فرنسا بإرسال حملة بقيادة "دوكين" صيف 1682م وقصف مدينة الجزائر[1].

ورغم ما غنمه الفرنسيون من هاته الحملة إلاّ أنّه سرعان ما تحوّلت الغلبة في اتجاه آخر بعد تولي الرايس حسين ميزومورطو زمام الأمور، حيث أصر على عدم إبرام الصلح مع الحكومة الفرنسية وهذا كان قرار رياس البحر أيضا[2].

معاهدة 1684م:

تمت هذه المعاهدة في 25 أفريل 1684م بين "تورفيل" و داي الجزائر، حيث نصت على الصلح وذلك بعد مفاوضات دامت أيام عديدة واتفق الطرفان على السلم لمدة مئة سنة[3]، وأهم ما جاء فيها حسب جمال قنان في كتابه (نصوص ووثائق) دور البحرية في توازن العلاقات الجزائرية الفرنسية ونذكر ثلاثة بنود تضمنت ذلك وهي:

البند 07: عندما تلتقي السفن المجهزة للحرب سواء كانت قد خرجت من ميناء مدينة الجزائر أو من أي ميناء من موانئ المملكة ... يترك لها الحرية لمتابعة رحلتها ... ونفس الإجراء تتبعه السفن الفرنسية مع مراكب الخواص التابعين لمدينة ومملكة الجزائر.

البند 08: تستقبل السفن الحربية والتجارية الجزائرية والفرنسية على السواء في موانئ كلا البلدين، وتعطى لها أنواع المساعدات.

البند 09: إذا هُوجِمت سفينة تجارية فرنسية كانت راسية في ميناء مدينة الجزائر أو في أحد موانئ هذه المملكة من طرف سفن حربية معادية ... سوف يدافع عنها، ذلك نفس الالتزام يتعهد به إمبراطور فرنسا[4].

---

[1]– جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619–1830، طبعة خاصة، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار –وحدة رويبة، الجزائر، 2007، ص89.

[2]– جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا...، مرجع سابق، ص89.

[3]– نفسه، ص 98، 100.

[4]– جمال قنان، نصوص ووثائق...، مرجع سابق، ص158، 159.

إنّ شخصية الجزائر في عهد الدايات أكسبتها مكانة سياسية تحسدها عليها الدول العظمى وذلك في إطار علاقاتها مع غيرها من أمم أوربا، هذه الشخصية التي ما كان للجزائر اكتسابها إلاّ في ظل قوة بحرية ورياس كرياس الجزائر في هذه الفترة وإنّ كل معاهدات الجزائر ودول الحوض الغربي المتوسط كانت انعكاس للنشاط المزدهر للبحرية الجزائرية وقوتها.

وقد شكلت العلاقات الجزائرية الفرنسية حجر الزاوية في العلاقات الخارجية للجزائر لما كان لها من تداعيات أثّرت على السكينة العامة للمؤسسات الداخلية للجزائر عموما والمؤسسات البحرية خصوصا، فالحملات التي قادتها فرنسا تباعا على إيالة الجزائر خلال هذا القرن تنم عن الحقد الصليبي والرغبة الجامحة في تحطيم القوة البحرية الجزائرية [1].

- بريطانيا:

تأثرت علاقات الجزائر الخارجية مع بريطانيا بما كانت تمارسه فرنسا من ضغط سياسي وعسكري على الحكومة الجزائرية باستمرار حتى تبقى فرنسا صاحبة الهيمنة واليد الطولى في الجزائر، وقد كانت بريطانيا تغتنم فرصة تدهور العلاقات الجزائرية الفرنسية لتحسين علاقاتها مع دايات الجزائر[2]، ولاسيما أنّ الذهنية الانجليزية ترى بضرورة الاستفادة من إقامة علاقات متينة مع الجزائر فكانت (الجزائر وبريطانيا) قويتين بحريتين تحكمان هيمنتهما على الحوض الغربي للمتوسط[3].

وقد بدأت أولى الخلافات الجزائرية البريطانية مطلع القرن التاسع عشر للميلاد عندما أبْدت الحكومة الجزائرية نيتها في الوقوف على الحياد من حروب نابليون بونابرت بأوروبا باعتبار ذلك قضية أوروبية لا دخل للجزائر فيها، بينما أرادت بريطانيا من الجزائر

[1]- محمد الأمين عطلي، مرجع سابق، ص 143، 144.

[2]- عبد القادر فلوح، مرجع سابق، ص83.

[3]- أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص250، 251.

موقفا صريحا مؤيدا للتحالف الأوروبي ضد فرنسا النابليونية من أجل الإطاحة بها، ومن هنا يمكن القول أنّ موقف البحرية الجزائرية بعدم التحالف مع أوروبا ضد نابليون جنى عليها حقد الانجليز[1].

وبعد انتهاء الحرب في أوروبا وعقد مؤتمر فيينا 1815م اغتنمت بريطانيا الفرصة لطرح مشروع على الرابطة الأوروبية لتأديب حكومة الجزائر على موقفها السياسي من حروب نابليون بونابرت بأوروبا، ولم تكن القرصنة البحرية وتحرير الأسرى سوى خدعة استعملتها بريطانيا لاستمالة الرأي العام المسيحي الأوروبي الحاقد على الجزائر باستمرار، وبالفعل تم الاعتداء على الجزائر، حيث شنّ الأسطول البريطاني الهولندي المشترك حربا بحربة على الجزائر[2].

ج- العلاقات مع الأقطار العربية:

- مصر:

لقد كانت العلاقات الجزائرية المصرية طيبة، فقد تضامنت إيالة الجزائر مع مصر في محنتها إثر تعرضها لحصار نابليون بونابرت، فاشتركت البحرية الجزائرية إلى جانب البحرية المصرية في حربها ضد فرنسا سنة 1798م[3]، حيث أعلن الداي مصطفى باشا (1798م-1805م) العداء على فرنسا وقام بإيقاف قنصلها وجميع القناصل في عنابة ووهران وجعل القيود في أرجلهم وكلّفهم بالأعمال الشاقة[4]، ويبين هذا الموقف تفاعل الجزائر ووقوفها مع مصر بحكم اشتراكهما في روابط الدين والتاريخ والتبعية للدولة العثمانية[5].

---

[1]- عبد القادر فلوح، مرجع سابق، ص84.

[2]- نفسه، ص84.

[3]- سفيان صغيري، مرجع سابق، ص99.

[4]- أحمد الشريف الزهار، مصدر سابق، ص76.

[5]- سفيان صغيري، مرجع سابق، ص100.

- المغرب الأقصى:

تنعدم المواقف الخارجية للبحرية الجزائرية نحو المغرب الأقصى وإن وجدت فهي قليلة، ويستحضرنا هنا مساعدة الجزائر لفاس ضد حربها مع النمسا، حيث وصلت أنباء مفادها أنّ فاس تُحرِّض الجزائر وتتفق معها على محاربة النمسا، وانتشرت أخبار في استانبول بأنّ خمس أو ستة سفن جزائرية مستعدة للاشتراك بالقتال إلى جانب فاس، ومن باب الحيطة والحذر كتب الباب العالي إلى الجزائر بأنّ الدولة العثمانية عقدت اتفاقية مع النمسا بموجبها فإنّ الدولة العثمانية مطالبة بحماية سفن النمسا، والملاحظ هنا أنّ دور البحرية الجزائرية كان على الأقل مشرفا، فاحتار بين مساندة المغرب الشقيق أو طاعة الباب العالي رغم أنّه كان مستقلا عنه، وذلك في إطار التبعية الروحية للدولة العلية[1].

[1]- عزيز سامح ألتر، مرجع سابق، ص624.

ثانيا/ الدور العسكري

1-الحروب مع أوربا:

أ- مشاركة الأسطول الجزائري في حروب انفصال اليونان:

لقد ظلّت إيالة الجزائر العثمانية طيلة عهد الديات تساعد الإمبراطورية العثمانية الإسلامية في حروبها مع الغرب المسيحي، ممّا جعل دول أوربا تقتنع بأنّ إيالات المغرب جزء لا يتجزأ عن هيبة الدولة العثمانية[1]، ومن بين دروب الحروب التي ساهمت فيها البحرية الجزائرية مشاركتها في حروب استقلال اليونان الذين ثاروا ضد الوجود العثماني فكونّوا جمعية سياسية تحت اسم "هيتيري" المجتمعين في إقليم مورا والمتفرقين في باقي أملاك الدولة، وكان أعضاؤها من الشبان الأقوياء القادرين على حمل السلاح، وممّا ساعد على انتشارها اشتغال الدولة العلية بحروبها مع علي باشا والي يانيا[2]، وكانت كل من روسيا والنمسا لها مراكز لهذه الجمعية والتي بقيت تنشط في سرية حتى سنة 1821م، وبعدها انتشر لهيب الثورة بين جميع اليونانيين.

في هذه الأثناء قام الثوار اليونانيون بأعمال تخريبية ضد المسلمين، حيث يقول أحمد الشريف الزهار في مذكراته: " ثار الكرايك على السلطان محمود في الجزر والمورة، وقتلوا من كان معهم من المسلمين ومثّلوا بهم، وسبوا النساء والذراري، وفعلوا بهم ما لم يفعله غيرهم بِعدو..."[3].

ونظرا لاتساع الثورة في معظم مناطق المورة وخوفا من تهديدها للوجود العثماني في تلك المناطق استنجد الباب العالي بكل من محمد علي باشا والي مصر وداي الجزائر

---

[1]- عبد الرحمان المؤدن وعبد الرحيم بنجادة، العثمانيون المغاربة من خلال الأرشيفات المحلية والمتوسطية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، الرباط، 2003م، ص46.

[2]- محمد فريد بك المحامي، مرجع سابق، ص411،412.

[3]- مذكرات أحمد الشريف الزهار، مصدر سابق، ص180.

حسين باشا، فاستدعى السلطان العثماني البحرية الجزائرية للمشاركة في حرب اليونان وكان الحاج خليل مفتي الجزائر في أزمير قد وجّه رسالة إلى حسين باشا في 3 شوال 1836م يطلب منه المشاركة في حرب اليونان، فأمر الداي حسين باشا بتجهيز ستة سفن حربية وعيّن على رأسها الحاج علي أرناؤوط قائدا، وقد خسر الأسطول الجزائري طيلة السنتين التي مكثها بالمياه اليونانية سفينتين أُحرِقتا على حين غفلة وهلك من بها من البحارة والجنود[1].

إذا يمكن القول أنّ البحرية الجزائرية لم تتوانى في تقديم الدعم العسكري للباب العالي تحت كل الظروف، ونلتمس ذلك من خلال رسالة بعث بها مسؤول رفيع المستوى يصف البحارة الجزائريين "في هذا البلد (الدولة العثمانية) مسلمون ومسيحيون يمجدون عظمة إيالة الجزائر بسبب شجاعة محاربيها وأبطالها ومدى سمعتهم في البر والبحر، والذين سجلوا انتصارات عديدة على كثير من الأمم، فكل المسلمين يدعون الله لتسهيل قدوم سفن هؤلاء صباحا ومساء"[2].

ب- مشاركة الأسطول الجزائري في الحروب الروسية العثمانية (1768م-1828م):

منذ سقوط القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية بتاريخ 21 ماي 1453م، والحقد الديني يتأجّج لدى وريثة بيزنطة التاريخية روسيا القيصرية التي تحاصر الدولة العثمانية من الحدود الشمالية إلى صرخة كاترين الثانية (1762م-1796م) قيصر روسيا "سأحرق عاصمة السلطنة من الجهات الأربعة دفعة واحدة"، هي الصرخة التي عبّرت عن أطماع روسيا الأرثوذكسية بالمقاطعات العثمانية على الحدود الروسية خوفا من توغل الإسلام أكثر في الأراضي الروسية[3]، وعلى ذكر ما سبق فقد نشبت بين حدود

[1]- عائشة جميل، الجزائر الباب العالي من خلال الأرشيف العثماني، 1520م – 1830م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2017م – 2018م، ص160.

[2]- حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري ...، مرجع سابق، ص120.

[3]- عبد القادر فلوح، مرجع سابق، ص75.

الإمبراطوريتين حروب عديدة كانت دائما ما تنتهي بمعاهدات تكون غالبا في صالح الروس وهي: معاهدة قينارجة 1774م، معاهدة زشتوى 1789م، معاهدة ياشا 1792م، معاهدة بوخاريست 1812م[1].

وعند اطلاعنا على بنود معظم هاته المعاهدات لاحظنا أنّها تتضمن شروط تتعلق بأنّ تمنع الدولة العثمانية رعاياها من التعرض للسفن الروسية في حوض المتوسط[2]، كذلك حرية الملاحة للسفن الروسية في كافة الموانئ العثمانية في البحر المتوسط خاصة البند المتعلق ببذل الدولة العثمانية جهودا للتوسط لدى حكومات شمال أفريقيا المتعاونة مع الباب العالي خاصة إيالة الجزائر من أجل التسهيل للطرف الروسي إبرام معاهدات صلح معها[3].

وما نستشفه من البنود التي ذكرناها أنّ روسيا كانت تشير للبحرية الجزائرية التي كانت دوما تشارك الباب العالي في حروبه معها، وذلك استجابة للعلاقات الإسلامية والجهاد البحري، فمنذ تاريخ 1774م والجزائر تساند الخلافة العثمانية بمنطقة البحر الأسود[4].

إنّ البحرية الجزائرية بأسطولها العظيم خاضت معارك بحرية كبيرة ضد سفن الأسطول الروسي، بل حقّقت السفن الجزائرية بقيادة الرايس حسين انتصارا على الأسطول الروسي بقيادة القائد البحري القوي أورلوف[5]، ونظرا لتعاون الجزائر مع الدولة العثمانية أصبحت روسيا في عداءٍ دائم معها، حيث دعت الدول الأوربية 1812م إلى تحالف

---

[1]– علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ج1، ط1، دار المعرفة، القاهرة، 2006، ص315، 319، 324، 345.

[2]– نفسه، ص317–324.

[3]– مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق ج1، ص96.

[4]– مذكرات أحمد الشريف الزهار، مصدر سابق، ص30.

[5]– عبد القادر فلوح، مرجع سابق، ص76.

عسكري سباعي ضد الجزائر بسبب سيطرة هذه الأخيرة على الممرّات في البحر الأبيض المتوسط[1].

أصبحت السفن الجزائرية تتأهب لمهاجمة السفن الروسية التي تتواجد في إقليم البحر الأبيض المتوسط للتجارة، كما كانت إستانبول تبعث بفرامانات تدعو إلى تضييق الخناق على السفن الروسية الروسية، لأنّ روسيا كانت لا تدفع الإتاوة لحكومة الجزائر، وبسبب العداوة التاريخية بين الدولة العلية وروسيا سمحت إستانبول للسفن الجزائرية بالإغارة على السفن الروسية والنمساوية كذلك[2].

لقد كان دور البحرية الجزائرية في حروب الدولة العثمانية ضد روسيا القيصرية قويا ومساهما ومساندا لها، ويُستمد هذا الدور من الروابط التاريخية والدينية والسياسية التي تربط الجزائر بالباب العالي، وبالرغم من البعد الجغرافي بينهما وما يترتب عن ذلك من خطورة نقل قوات البحرية الجزائرية إلى الحوض الشرقي للمتوسط، وفي ظل الصراع الجزائري الأوروبي في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وفي ظل الظروف الداخلية الصعبة استمرت الجزائر في دعمها السياسي والعسكري للدولة العثمانية في نهاية العقد الثالث من القرن التاسع عشر ميلادي، والذي تزامن مع فرض الجيش الفرنسي الحصار على الجزائر 1827م[3].

2- الحروب مع أمريكا (1795م-1815م):

أ- التصدي لحملة الولايات المتحدة الأمريكية على الجزائر سنة 1815م:

تعود بداية العلاقات الدبلوماسية الجزائرية الأمريكية إلى أواخر القرن18م بعد قبول الجزائر أوّل معاهدة سلم وصداقة مع (و.م.أ) يوم 5 سبتمبر 1795م بين الداي بابا حسن (1791م-1798م) والرئيس جورج واشنطن أمضاها عن الجزائر الداي بابا حسن

[1]- مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق، ج1، ص96.

[2]- عزيز سامح ألتر، مرجع سابق، ص550.

[3]- عبد القادر فلوح، مرجع سابق، ص77.

وعن الولايات المتحدة الأمريكية المبعوث الخاص جوزيف دونالدصون والقنصل العام لأمريكا في الجزائر كانكارت[1]، وقد نصت هذه المعاهدة على إطلاق صراح الأسرى الأمريكيين مقابل فدية وهدايا أخرى ودفع ضريبة سنوية في شكل عتاد وأجهزة حربية بمبلغ 21600 دولار، كذلك تقوم بمساعدة أمريكا على توقيع معاهدات سلم وصداقة مع تونس وطرابلس الغرب[2].

أمّا كانكارت فيروي أنّ الداي طلب مبلغ 2247000 دولار وتقدّم للجزائر بارجتين (سفينتين) حربيتين كل واحدة منهما مسلحة بخمسة وثلاثين مدفعا، بالإضافة إلى ضريبة سنوية تدفع على شكل عتاد ومعدات بحرية 12000 سكوين وهذا مع هدية السفير والقنصل التقليدية التي تقدم كل سنتين[3].

التزمت الولايات المتحدة الأمريكية على دفع 642500 دولار نقدا وضريبة تدفع في شكل أجهزة وذخيرة حربية وهذا بعد موافقة مجلس الشيوخ الأمريكي على نص المعاهدة بتاريخ 2 مارس 1796م[4].

الظروف العامة لحملة الولايات المتحدة الأمريكية على الجزائر:

قبل تسيير و. م. أ حملة نحو الجزائر كانت هناك عوامل مشجعة، وكان في مقدمتها توقيع الصلح بين أمريكا وبريطانيا بمقتضى معاهدة غانت في 24 ديسمبر 1814م[5]، وكذلك انشغال الجزائر بمواجهة ست دول (هولندا، الدنمارك، ايطاليا، اسبانيا، بروسيا، روسيا) هذا ما جعل و. م. أ تستغل هذه الفرصة الذهبية لحصار الجزائر[6].

---

[1]– مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق، ج1، ص229.

[2]– حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوربية ونهاية الإيالة 1815–1830، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة–الجزائر، 1428هـ/2007م، ص20.

[3]– كانكارت، مذكرات أسير الداي كانكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص168.

[4]– حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوربية ...، مرجع سابق، ص20.

[5]– جون. ب. وولف، مرجع سابق، ص419.

[6]– مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق، ج1، ص235–236.

ضف إلى ذلك قرار الكونغرس الأمريكي الذي صرح بأنه لم يعد يحتمل دفع الضريبة للجزائر فأعلن الحرب على الإيالة وقام بإرسال قوات بحرية إلى البحر المتوسط حتى ترضخ الجزائر لعقد الصلح وفق شروط أمريكا أو تقوم بحماية السفن التجارية الأمريكية ضد القرصنة[1].

وفي 17 جويلية 1815م سير الأميرال ديكاتور حملة بحرية نحو الجزائر وقبل وصوله التقى ببارجة اسمها "مشهودة" بقيادة الرايس حميدو، وبعد يومين من المعركة قرب الشواطئ الاسبانية استشهد قائدها الرايس حميدو وثلاثون من بحارتها[2]، ويذكر الكاتب علي تابليت "أنّ طريقة موت الرايس حميدو تستحق الثناء والعظمة إذ لفظ أنفاسه وهو على كرسي القيادة هادئا باسلا تحت نيران مدافع السفن الأمريكية المحيطة به، كذلك يجب أن ننوه أنّ هذه الحادثة كانت بطلب من الداي عمر(1815م-1817م)[3] الذي كان غريب الأطوار ومتشددا، فذات يوم استقدم حميدو قال له: ما هذا؟ قال له: قد قدمت فرقاطة برتغالية لمصطفى وفرقاطة تونسية للحاج علي، فقال له: أريد منك أن تأتي لي بفرقاطة أمريكية، فأجابه حميدو: بلاد الأمريكان بعيدة جدا عنا، فأجابه الباشا: حاول دائما، وفعلا أبحر حميدو طاعة للباشا كما سبق وذكرنا ذلك[4].

وبعد هذا كان وصول الأسطول الأمريكي لمدينة الجزائر مفاجئ فقد كانت معظم القطع البحرية الجزائرية موزعة في عرض البحر وأغلب الرياس غائبين، وبالتالي كانت السفن الأمريكية في موضع قوة أكثر من الجزائر، فلو أُخبر الجزائريون بهذا العدوان لكانوا دون أدنى شك أنهم سيستقبلون الحملة استقبالا مخالفا، ضف إلى ذلك صورة فرقاطة

---

[1]- ويليام شالر، مصدر سابق، ص146.

[2]- حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوربية ...، مرجع سابق، ص 22.

[3]- الداي عمر: ولد في جزيرة ميتلين، تولى منصب الداي سنة 1814م وقيل أنه ينحدر من أصل إغريقي واعتنق الإسلام. أنظر: ويليام شالر، مصدر سابق، ص160.

[4]- علي تابليت، الرايس حميدو أميرال البحرية الجزائرية 1770 – 1830م، الأبيار، الجزائر، 2006، ص25، 26، 29.

الرايس حميدو (مشهودة) وهي مجرورة من قبل الأعداء المنتصرين زاد من شعور الخوف والإحباط وخيبة الأمل[1].

إلى هنا قبل الداي عمر التفاوض مع الأمريكيين، فتوصل الطرفان إلى حل وسط ووقعا على معاهدة في 30 جويلية 1815م تضمنت 22 بندا مثل معاهدة 1795م، وتشير بعض الدراسات أنّ بها 26 بندا، ولكن قلصت لاحقا إلى 22 بندا[2].

ويذكر شالر أنّه كادت المفاوضات تنقطع ولا يتم الوفاق حول الشروط الأمريكية لولا ظهور الأسطول المزدوج الانجليزي والهولندي الذي كان يضمر شرا على السواحل الجزائرية ولاسيما أنّ الداي رفض السلام معهما[3].

ب- نتائج الحملة الأمريكية على الجزائر:

إنّ الحملة الأمريكية على الجزائر كان لها عديد الأثر السلبي في هيبة وسمعة إيالة الجزائر، ومرد تلك السقطة كان نتاج ظروف إقليمية عبر سواحل البحر المتوسط ومن أبرز تلك النتائج نذكر:

- وفاة أبرز القادة البحريين في تلك الحقبة وهو الرايس حميدو بعد أن ارتطمت به كورة من النار وهو واقف على كرسيه فقسمته إلى نصفين إلى جانب العديد من البحارة الذين استشهدوا.
- إستياء الأمريكيين بعدما وجدوا القائد حميدو ميت فصاروا يضربون الأرض بأرجلهم غيضا ممّا يدل على القيمة العسكرية لهذا البطل المغوار[4].
- عقد معاهدة سلم سنة 1815م.

---

[1]- علي تابليت، مرجع سابق، ص27-28.

[2]- حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوربية...، مرجع سابق، ص 22.

[3]- ويليام شالر، مصدر سابق، ص149.

[4]- أحمد الشريف الزهار، مصدر سابق، ص118.

– توقيع الجزائر لاتفاق مخزي مع و.م.أ بإلغاء الإتاوات السنوية، كذلك تحرير الأسرى الأمريكيين في إيالة الجزائر[1].

– إطلاق سراح الأسرى الجزائريين.

– دفع تعويض مالي مقداره 10 آلاف دولار تعويضا عن السفينة الأمريكية "إيدوين" وتعهدت و.م.أ بأن ترد للجزائر السفينتين اللتين استولى عليهما الأسطول الأمريكي (سفينتي الرايس حميدو)[2].

– ويذكر علي تابليت في هذه المعاهدة التي تكونت من 22 بندا وبالتحديد في المادة الرابعة: سيقوم داي الجزائر بتعويض عادل وكامل لمواطني و.م.أ على أساس حجزهم وسجنهم من طرف السفن الحربية الجزائرية أو الذين أجبروا أن يتخلوا عن ملكيتهم في الجزائر بسبب خرق المادة 22 من معاهدة السلام والصداقة بين و.م.أ وداي الجزائر في 5 سبتمبر 1795م[3].

– أما في المادة الأولى فقد جاء إلى جانب السلم الدائم بين البلدين فكرة أنّ هذه المعاهدة عقدت على أساس المعاهدات المنعقدة بين الدول الأكثر حضوة، ولكن سرعان ما جددت هذه المعاهدة بالتعديل بطلب من داي الجزائر الذي ألحّ على إلغاء فكرة الحضوة، وبذلك تم توقيع اتفاقية جديدة في 23 ديسمبر 1816م[4].

– بعد سنة 1815م لم يقع أي نزاع بين الدولتين ولكن استمرت و.م.أ في إنفاق مبالغ مهمة على علاقاتها مع الجزائر وتونس وطرابلس الغرب رغم أنها لم تكن تدفع الضريبة السنوية مثل الدول الأوروبية[5].

---

[1]– صالح عباد، مرجع سابق، ص218.

[2]– حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوربية...، مرجع سابق، ص 22، 23.

[3]– علي تابليت، العلاقات الجزائرية– الأمريكية 1776– 1830، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007/2006، ص459.

[4]– مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق ، ج1، ص 240.

[5]– حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوربية...، مرجع سابق، ص 23.

ثالثا/ الدور الاقتصادي

1-التجارة:

إنّ التجارة في إيالة الجزائر نوعان كما هو الحال في سائر البلدان، داخلية وخارجية، أمّا الداخلية فتتم في الأسواق المحلية أو الجهوية وفي الحوانيت والمعارض السنوية، وأمّا التجارة الخارجية فتتم مع أوربا عن طريق الموانئ ومع إفريقيا عن طريق القوافل[1]، لكنّنا سنتحدث عن دور البحرية أو رجال البحر في كلا التجارتين وكيفية الحركية التجارية التي مارستها طائفة الرياس.

أ- التجارة الداخلية:

تعطينا عائشة غطاس إشارة خفيفة عن التبادل التجاري بين الأهالي ورجال البحر وذلك من خلال المواد الأولية التي كانت تستعمل لصناعة السفن، فقد كانت الأخشاب تنقل إلى ترسانة الجزائر من نواحي شرشال، كما كانت غابات القل الغنية بأشجار البلوط الأخضر تموِّل هي الأخرى ترسانة الأيالة بالأخشاب الضرورية لصناعة السفن وكانت أخشاب غابات القالة أكثر ملاءمة لصنع أقفاص السفن لقابليتها للانحناء والتّقوّس، وليتسنّى التموين بصفة منتظمة وبأثمان معقولة أبرمت الحكومة مع الشخصيات المحلية اتفاقيات استفاد منها الطرفان، فتعهّد آل مقران بمجانة بقطع الأشجار وإرسالها حسب المقاييس المحددّة مسبقا، وكانت مصلحة تعرف بالكراستة تنشط ببجاية حيث مركز الشحن والفرز[2].

إنّه لمن الصعوبة بمكان جمع المعلومات المتفرقة في طيّات المراجع والمصادر حول التبادل التجاري بين طائفة الرياس والتجار من الأهالي، وعليه استحالة تقديم تركيب كامل لدور الرياس في التجارة الداخلية، لكن بالرغم من ذلك لا يمكن إغفال التأثير الاقتصادي للبحرية الجزائرية، حيث يرى العديد من الباحثين أنّ النشاط البحري كان

---

[1]- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص64، 65.

[2]- عائشة غطاس وأخريات، مرجع سابق، ص100.

المورد الوحيد لخزينة الجزائر وأنّ المتاجرة في الغنائم البحرية كانت العمود الفقري للتجارة بالجزائر[1]، وعلى ذكر ذلك كانت الغنائم البحرية عندما تجلب إلى مدينة الجزائر تباع للسكان وتوزّع قيمتها حيناً على ذوي الحقوق، فيقع ربح وفير لرياس البحر وأصحاب السفن والعاملين فيها[2]، كذلك كانت سوق النخاسة في مدينة الجزائر مركزاً لبيع الأسرى من مختلف الجنسيات والذين يقعون تحت أسْر البحارة الجزائريين وذلك قبل عملية افتدائهم[3].

– لابد من الحديث عن طائفة اليهود والتي حصلت على نفوذ كبير في الميادين التجارية ولاسيما في تصريف أسلاب النشاط البحري التي لم يكن بالإمكان استهلاكها في الجزائر، فبدءًا من القرن الثامن عشر ميلادي كان يهود ليفورنو يحتلّون المراكز الأولى واشتهرت منهم عائلتا بكري وبوجناح بفضل مهارتهما في القضايا المالية والتجارية وخبرتهما بأحوال البحر المتوسط وعلاقاتهما الخارجية[4]، فكانوا يشترون الغنائم البحرية من رجال البحر الجزائريين ويبيعونها في تونس وإستانبول[5].

– لقد كان لرجال البحرية الجزائرية مكانة كبيرة؛ حيث كتب هايدو يصف عودة البحارة الجزائريين ومغامراتهم "... لدى عودتهم كان كل جزائري مغتبطاً لأنّ التجار يبيعون إلى البحارة العائدين كل ما في مخازنهم من ثياب ومُؤن ولم يكن القراصنة يعملون سوى الشراب والطعام واللهو..."[6].

---

[1]– حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى الطباعة وللنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص71.

[2]– حمدان خوجة، مصدر سابق، ص80.

[3]– حنيفي هلايلي، أوراق...، مرجع سابق، ص69.

[4]– محمد خير فارس، مرجع سابق، ص103.

[5]– عزيز سامح ألتر، مرجع سابق، ص409.

[6]– محمد خير فارس، مرجع سابق، ص94، 95.

ب- التجارة الخارجية:

أخذت البحرية الجزائرية على عاتقها حماية المصالح الاقتصادية والإستراتيجية للبلاد وذلك بفضل جهودها العسكرية ضد أعدائها المتمثلين في معظم البلدان الأوربية، ويمكن الجزم أنّه بفضل الجهاد البحري صنعت الجزائر علاقاتها السلمية وبذلك أصبحت لها مبادلات تجارية مع أوربا وأمريكا[1].

- الصادرات:

تنوّعت وتعدّدت صادرات الجزائر نحو بلدان أوربا والعالم فمنها:

المرجان: المرجان الذي يعدّ فرعاً أساسيا من فروع التجارة الدولية وذا أهمية بالغة ما جعل التجار الأوربيين يتهافتون عليه من الفرنسيين والإيطاليين والسردينيين والجنويّين، ولقد كانت الشركة الملكية الإفريقية تحظى باستغلاله والمتاجرة به، فقد حرصت على أن لا يذهب المرجان المستخرج إلى غيرها من المنافسين، فكانت تدفع لكل قائد سفينة مائتين بياستر مسبقا شرط أنّ لا يباع سوى لمؤسسة الحصن وحدها.

ولم يكن تصدير المرجان مقتصر على الفرنسيين فقط، بل حتى دول المشرق كان لها نصيب هي الأخرى خاصة مصر، حيث يذكر ماصون أنّ حجم الكمية المصدرة إلى المشرق كان يفوق كثيرا تلك التي وجهّت إلى فرنسا، لما كان يدره عليها من أرباح طائلة[2].

الحبوب: أمّا الحبوب أخذت مركزا هامّا ضمن الصادرات خاصة بعد أن تقهقرت موارد القرصنة فكان الشرق الجزائري أكثر المناطق تصديرا لها، يذكر بارادي أن أربعين حمولة

---

[1]- توفيق دحماني وصباح نوري هادي العبيدي، إيالة الجزائر العثمانية بين موارد البحر والضرائب، مجلة الملوية للدراسات الآثارية والتاريخية، ع 10، مج 4، جامعة الجزائر 2- كلية العلوم الإنسانية وجامعة ديالي – كلية التربية الأساسية، تشرين الثاني 2017م، ص128.

[2]- عائشة غطاس، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر(1619م -1694م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1984-1985م، ص105، 106، 107.

من الحبوب تخرج من ميناء عنابة في سنة جيدة المحاصيل وتخرج من ميناء أرزيو ثلاثون حمولة وتخرج من دلس حمولتان أو ثلاث[1].

ومن بين المناطق التي اشتهرت بتصدير القمح منطقة الحصن وكانت قبيلة أولاد علي التي عرفت بشغفها وحبّها لاستغلال الأرض من الممونين الأساسيين لمركز الحصن، فقد يخرج سنويا من الحصن ما بين عشر إلى اثنتي عشر ألف قيسة، وقد نالت عنابة شهرة كبيرة بمحاصيلها الزراعية المتنوعة وبخصوبتها[2]، أمّا الشعير فكان المصدر الثاني من الحبوب فكان يصدر من مركز الحصن نحو خمسة آلاف قيسة ومن القالة نحو ستة آلاف قيسة هذا بالإضافة إلى مناطق أخرى[3].

المنتوجات الحيوانية: كانت الجزائر تصدر كميات كبيرة من اللحوم والأصواف والجلود، كما أنّ الأرقام الآتية تعطينا صورة واضحة عن أهمية الإنتاج الحيواني إذ كانت الجزائر تصدر سنويا من ميناء مدينة الجزائر إلى أوربا حوالي 20 ألف قطعة جلدية و7 آلاف إلى 8 آلاف قنطار من الصوف الآتية كلّها تقريبا من بايلك التيطري، أمّا ميناء عنابة فكان يصدر 10آلاف إلى 12 ألف قنطار من الصوف وكان هذا في سنة 1788م[4].

الشموع: كانت المؤسسات الفرنسية تستورد من الشرق الجزائري سنويا حوالي 880 قنطارا من الشموع وكان التجار الفرنسيون يشتكون من كون المنتجين يصدرون أجودها إلى تونس[5].

---

[1]– صالح عباد، مرجع سابق، ص342.

[2]– عائشة غطاس، العلاقات الجزائرية الفرنسية...، مرجع سابق، ص118.

[3]– نفسه، ص120.

[4]– أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر...، مرجع سابق، ص59.

[5]– محمد العربي الزبيري، مرجع سابق، ص100.

أسعار بعض الصادرات خلا القرن السابع عشر[1]

نوعية البضاعة	السعر	الوحدة
المرجان	58 قرشا	للرطل
الجلود	4 إلى 6 ريالات	للوحدة
القمح	واحد ونصف بياستر 2 بياستر إلى ثلاثة ونصف	الكيلة المحلية الكيلة الأجنبية
الشعير	$\frac{1}{2}$ بياستر إلى واحد بياستر	الكيلة
الفول	$\frac{1}{2}$ بياستر إلى واحد بياستر	الكيلة
الشمع	16 إلى 20 بياستر	القنطار

- الواردات:

المواد الغذائية: وهي المواد التي يستعملها السكان في حياتهم اليومية وتشمل السكر والقهوة والتوابل، فقد كان الشرق الجزائري يستورد من أوربا مباشرة ما قيمته 6570 بياستر أو ما يعادل 3285 فرنكا سنويا، وهو ثمن لا يكفي لشراء أكثر من خمسة عشر طنا من القمح، وهذا يدلّ على أنّ الأهالي كانوا يفضلون اللجوء إلى السلع التونسية أو المغربية[2].

المواد المصنوعة: كانت جنوة تصدر إلى الجزائر الأقمشة الممتازة والحرير الجيد، والبندقية تأتي بالمرايا والزجاج والخزف، وهولندا تصدر الأخشاب والخزف، وكل هذه البضائع تبادلها الجزائر بالمنتوجات الحيوانية بالدرجة الأولى والمنتوجات الزراعية في الدرجة الثانية، كذلك مدن من المشرق مثل القسطنطينية وأزمير اللتين كانتا تصدران الغزل والقطن، أمّا الإسكندرية وطرابلس تصدران الزرابي والأواني الخزفية والأقمشة، وقد

[1]- عائشة غطاس، العلاقات الجزائرية الفرنسية...، مرجع سابق، ص125.

[2]- محمد العربي الزبيري، مرجع سابق، ص102، 103.

بلغ مجموع السفن التجارية التي دخلت ميناء الجزائر سنة 1789م حوالي 80 سفينة[1]، وفيما يلي جدول لقيمة الواردات في هاته السنة[2].

قيمة الواردات إلى الجزائر سنة 1789م	
منطقة الاستيراد	قيمة الاستيراد
مارسيليا	800000 جنيه إسترليني
ليفورن	1000000 جنيه إسترليني
الشرق الأوسط	300000 جنيه استريني
المجموع	2100000 جنيه استريني

المواد الأولية: كانت قليلة الاستيراد فإسبانيا كانت تمدّ الجزائر بالرصاص والكبريت والمعادن الثمينة[3]، كذلك كان الرياس يجلبون كل ما يتعلّق بصناعة السفن مثل الخشب رغم توفره بضواحي شرشال وبجاية[4].

لا تتم المبادلات التجارية كلها بواسطة النقد فقط، بل كثيرا ما كان التجار يلجؤون إلى المقايضة حينها لا تتوفر لديهم النقود الذهبية، فمقابل الأسلحة وغيرها من المواد المطلوبة يحصل التجار الأوربيون على المرجان والصوف والجلود والشمع وغيرها[5].

2- مداخيل الخزينة:

أ-الأسرى والغنائم البحرية:

- **الأسرى:** إنّ ظاهرة الأسر والاسترقاق حقيقة وظاهرة تاريخية عرفتها دول البحر الأبيض المتوسط في إطار الحروب البحرية التي استمرت من القرن السادس عشر إلى

---

[1]- علي عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، ط1، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972م، ص308.

[2]- Venture de Paradis, Alger au XVLll siècle, édité par e.Fagnan, Alger, 1898, p31.

[3]- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ(العهد العثماني)، ج4، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص81.

[4]- عائشة غطاس، العلاقات الجزائرية الفرنسية...، مرجع سابق، ص126.

[5]- نفسه، ص164.

مطلع القرن التاسع عشر[1]، وقد كان الأسر يشكل قيمة اقتصادية لإيالة الجزائر في ظل الجهاد البحري الذي كانت تخوضه في حوض المتوسط[2]، وللحديث عن عدد الأسرى فإنّ هايدو يذكر أنّه كان يتواجد بمدينة الجزائر 25000 أسير[3]، في حين يقول فونتيردي بارادي أنّ عددهم يتراوح بين 1800 و2000 أسير وذلك في مدينة الجزائر أيضا[4].

أمّا حنيفي هلايلي فيذكر أنّه في سنة 1635م بلغ عدد الأسرى 30 ألف، لكن مع بداية القرن الثامن عشر يلاحظ تراجع أعداد الأسرى، فمن 10000 أسير سنة 1700م إلى 2000 أسير سنة 1738م ليرتفع العدد إلى 7000 أسير سنة 1750م ثمّ ليتأرجح ما بين زيادة ونقصان حتى سنة 1830م.

يجب أخذ الحيطة حين نتحدث عن التقديرات الإحصائية لعدد الأسرى، لأنّ المشكل ليس في النسب فقط ولكن في تأكيد المجال الجغرافي هل هو مدينة الجزائر أو ريفها أو إيالة الجزائر بأكملها[5].

إنّ عملية توزيع الأسرى تتم كالآتي: يحصل الداي على الثمن $\frac{1}{8}$ ويساق البقية إلى سوق البادستان، حيث يخضعون للبيع الأول عن طريق المزاد، فالبيع الثاني عن طريق عملية الافتداء[6].

تعدّدت طرق افتداء الأسرى الأوربيين داخل الجزائر وساهمت في جمع ثروات هائلة للإيالة وللرياس كذلك ومن بينها:

---

[1]– رحمونة بليل، القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1564م إلى 1830م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2010–2011م، ص188.

[2]– حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري...، مرجع سابق، ص64.

[3]– Fray Diego de Haëdo, Topographie et Histoire général D'alger , MM .Dr.Monnereau et A.Berbrugger ,1870, p41.

[4]– Venture de Paradis,op-cit, p161.

[5]– حنيفي هلايلي، أوراق...، مرجع سابق، ص69، 71.

[6]– رحمونة بليل مرجع سابق، ص189. أنظر: الملحق (02) صورة لسوق النخاسة (الأسرى) في مدينة الجزائر، ص110.

المعاهدات: ومنها معاهدة الجزائر وفرنسا في 11 مارس 1679م الخاصة بالباستيون، حيث جاء في البند 11: إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين كلهم مقابل دفع ثلاثمائة ليفر فدية عن كل أسير منهم مهما بلغ الثمن الذي اشتروا به[1].

كذلك تطرقت المعاهدة بين اسبانيا والجزائر سنة 1768م إلى ضرورة تبادل الأسرى بين الدولتين واشترطت الجزائر أن تطلق اسبانيا جميع ما لديها من الأسرى مقابل أنها تستطيع افتداء أسراها، وهكذا أطلقت اسبانيا 1200 أسير مسلم وأطلق الجزائريون سراح 712 أسير اسباني مقابل مال جزيل[2].

المنظمات الدينية: يتم كذلك افتداء الأسرى عن طريق المؤسسات الدينية المسيحية التي أنشأتها بعض الكنائس ومنها: تنظيم الثالوث المقدس ومنظمة عذراء الرحمة ومنظمة اللازاريين[3]، حيث كان يستفيد من مبلغ الفدية مالك الأسير، وتختلف قيمة الفدية باختلاف جنس الأسير وعمره ومركزه الاجتماعي: ففي 27 سبتمبر 1750م قام الثالوث المقدس بافتداء جماعة من الأسرى فكانت المبالغ كالتالي:

- 100 بياستر عن كل أسير دون مهنة.
- 600 بياستر عن كل أسير عامل أو حرفي.

وتمّ افتداء 48 أسيرا بهذه الطريقة، أمّا في 4 أكتوبر 1750م فقدّم الداي محمد بن بكير (1748-1754م) رجال الدين الفرنسيين التابعين لتنظيم الرحمة بدفع 1000 بياستر لافتداء رجل دين أسر على ظهر السفن الاسبانية.

أمّا فيما يتعلق بالنساء فتكون قيمتهن ضعف فدية الرجل، ففي سنة 1717م أسرت إحدى الفتيات رفقة عمها وامرأتين من طرف قراصنة الجزائر هذه الطفلة هي الإبنة

---

[1]- جمال قنان، معاهدات الجزائر...، مرجع سابق ، ص297.

[2]- أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص509.

[3]- مهدي تلالي ومحمد بوقرة دادو، افتداء الأسرى الأوروبيين في إيالة الجزائر من خلال المصادر الأجنبية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة أستاذ التعليم المتوسط في التاريخ والجغرافيا، دائرة التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار، قسنطينة، 2018م-2019م، ص84.

الصغرى للجنرال يورك، فأرغم والديها على دفع 75000 ليرة لقاء حريتها والأشخاص الذين معها[1].

القناصل: لا يتم الافتداء عن طريق رجال الدين فحسب، بل هناك دور القناصل المباشر في تحرير بني جلدتهم من أغلال الأسر وذلك حسب ما تنص عليه المعاهدات المبرمة بين الجزائر وبقية الدول، ومن أمثلة ذلك ما قام به القنصل الانجليزي حين حرّر 7 أسرى انجليز بمبلغ 700 بياستر، كذلك ما قام به قنصل البندقية السيد "كبرياتا Capriata" الذي تفاوض مع سلطات الإيالة الجزائرية مباشرة في 12 أوت 1764م وتوصّل إلى تحرير ثلاثون أسيرا بقيمة 30 ألف سوكين جزائري[2].

الافتداء الذاتي: هذا النوع من الفدية رائج في الجزائر خاصة الأسرى التابعين لكبار الشخصيات وأثرياء المدينة[3]، فيروى أنّ الرحالة الألماني هابنسترايت أنّه كان يسمح للعبيد والأسرى العمل لتوفير مبالغ مالية[4]، ومن أمثلة ذلك الأسير "تيدنا"[5] الذين استطاع شراء حريته من باي معسكر باعتباره وزيره الشخصي، حيث استطاع جمع أموال الفدية وبعد

---

[1]– حفيظة خشمون، مهام مفتدي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007/2006م، ص66، 67.

[2]– رحمونة بليل، مرجع سابق، ص195، 197.

[3]– بلقاسم قرباش، الأسرى الأوربيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671–1830)، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2015م–2016م، ص204.

[4]– ناصر الدين سعيدوني، رحلة العالم الألماني: ج.أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ – 1732م)، دار الغرب الإسلامي، تونس، د ت، ص43.

[5]– تيدنا: ولد سنة 1758م في يوزيس لانغدوك من عائلة كاثوليكية ميسورة الحال، انضم لفيلق الحامية العسكرية في كورسيكا، كذلك شغل مناصب إدارية (كاتب). أنظر: احميده عميراوي، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة الجزائر، 2003م، ص 32.

أن سلمها للقنصل الفرنسي قام هذا الأخير بإجراءات تحريره[1]، رغم معارضة الباي لأن تيدنا كان يحظى بحب وعناية باي معسكر وكان رافضا لفديته وحريته[2]، لكن القانون كان واضحا، حيث قال داي الجزائر: "أننا لا نستطيع الاحتفاظ بالأشخاص الذين ينتمون لهذه الأمة (فرنسا)"[3].

تبادل الأسرى: إنّ تبادل الأسرى دون فدية كان حاضرا ويتجلّى ذلك في حجم المراسلات بين القناصل وحكوماتهم، فقد ساهم هذا الأسلوب في تحرير العديد من الأسرى، ففي عام 1755م أطلق سراح 107 من الجزائريين كانوا على متن سفينة حجزتها عمارة بحرية تابعة للبابا مقابل تحرير عدد مماثل من المسيحيين كانوا في الجزائر، كما نجد أنّه بعد عودة سيدي عمر من سفارته من لندن رفقة قائد الأسطول الانجليزي كليفلان الذي جاء بدوره في مهمة محددة ومحملا بالهدايا القيمة للموظفين الساميين ومقابل ذلك تمّ تحرير 13 أسيرا انجليزيا، وفي نفس السياق نجد أنّه عند رحيل القنصل "كليرمبولت Clairaumbault" عن الجزائر يذكر خليفته "بوم Baume" أنّه أخذ معه خمسة أسرى فرنسيين ليتم تبادلهم بخمسة أتراك[4].

- الغنائم البحرية:

تكاثرت في الفترة الأولى للعهد العثماني ثمّ أخذت في التناقص حتى كادت تتلاشى في القرن الثامن عشر، ثمّ عرفت مع نهاية العهد العثماني نموا ملحوظا تزامنا مع انشغال أوربا مع حروب نابليون وقد ارتبط تجدّد نشاط البحرية الجزائرية بجهود بحارة مشهورين ومنهم الرايس حميدو (1790-1815م)[5].

---

[1]- بلقاسم قرباش، مرجع سابق، ص204.

[2]- احميده عميراوي،، مرجع سابق، ص34، 35.

[3]- بلقاسم قرباش، مرجع سابق، ص204.

[4]- رحمونة بليل، مرجع سابق، ص199، 200، 201.

[5]- حنيفي هلايلي، بنية...، مرجع سابق، ص 67، 68.

وسنعرض فيما يلي أرقام إحصائية عن الغنائم التي حصّلها البحارة الجزائريون على عهد الدايات، ففي سنة 1672م استولت البحرية الجزائرية على عدة سفن كبرى محملة بسلع بالغة القيمة (سفينتان بندقيتان وسفينتان جنويتين وعدة مراكب فرنسية).

في سنة 1673م استطاعت السفن الجزائرية أن تستولي على سفينة اسبانية ذاهبة إلى مالطة كما تحصلوا على عدة غنائم على السواحل الاسبانية والبرتغالية والكورسيكية والإيطالية وحجزوا سفينة فرنسية تنقل جنودا اسبانيين، فأسروا الأسبان وتركوا الفرنسيين وسفينتهم أحرارا، كما استولوا على 3 سفن من الدنمارك وهامبورغ وسفينتين هولنديتين إحداهما تحمل 1500 برميل من الكحول والمقطر وخمر بوردو[1].

تمكّنت السفن الجزائرية في سنة 1674م من الحصول على 38 غنيمة وفي سنة 1675م بلغت 83 غنيمة و58 غنيمة في عام 1676م و12 غنيمة خلال بداية سنة 1677م بمعدل سنوي يقارب 50 غنيمة، كما يذكر القنصل الانكليزي "روبرت كول Robert Cole" أنّه خلال الفترة (1677-1681م) أسرت بحرية الإيالة 157 سفينة من أسطول بلاده التجاري[2].

في سنة 1683م كانت المعطيات نادرة عن عدد الغنائم، فقد غنم الجزائريون بعض السفن الصغيرة على السواحل الإيطالية، أمّا سنة 1684م فقد غنموا 24 سفينة و400 بحارا وسفينتان برتغاليتان قيمة إحداهما 20000 قرشا.ج

أمّا سنة 1685م يذكر القنصل الفرنسي في الجزائر أنّه تمّ الاستيلاء على 4 مراكب جنوية و8 سفن اسبانية وبارجة مالطية، وفي سنة 1686م تحصلوا على 32 سفينة "فلامان[3]" عليها 350 بحارا و 9 سفن اسبانية و4 سفن جنوية و3 سفن برتغالية[4].

---

[1]- المنور مروش، مرجع سابق، ص340، 341.

[2]- أمين محرز، مرجع سابق، ص212.

[3]- فلامان: تعني مناطق أوسع من دولة الأراضي المنخفضة (هولندا الآن)، أنظر: المنور مروش، مرجع سابق، ص346.

[4]- نفسه، ص345، 346.

الجدول التالي من خلاله سنعطي أرقام للغنائم خلال سنوات (من 1687م إلى 1699م)[1].

السنة	الغنيمة
1687	13 سفينة وعدد من الأسرى. 3 سفن تجارية هولندية. حسب القنصل الفرنسي: 23 سفينة عليها 469 مسيحي أسير أكثرهم أسبان وهولنديين.
1688	375 أسير فرنسي. 19 سفينة فرنسية.
1689	أخذ 280 جندي اسباني وجملة من الغنائم المتنوعة. 1690م تاريخ معاهدة الصلح مع فرنسا، بلغ عدد الأسرى 700 و800 أسير.
1690	عدة سفن تجارية هولندية وبارجة جنوية و12 سفينة صغيرة.
1691	10 سفن برتغالية وجنوية وهولندية ودانماركية.
1692	12 سفينة هولندية وبوارج برتغالية وجنوية و1435 أسير فرنسي و30000 قرش قدّمها الأسبان لفدية أسراهم.
1693	سفينة من أصل مجهول، كارافيل برتغالية و3 سفن انجليزية و100 ألف قرش لافتداء الأسرى.
1694	فرقاطة هولندية و32 بحارا وبارجة كاتالانية وسفينة بندقية لها 34 مدفعا. سفينة مالطية و4 سفن انجليزية.
1695	سفينة هولندية عليها 63 شخصا و24 مدفعا.
1697	سفينة هولندية تحمل 10000 قنطارا من الحديد والخشب. سفينة برتغالية عليها 4000 قنطارا من السكر وسفينتان من جنوة وكارافيل برتغالية.

[1]– محمد الأمين عطلي، مرجع سابق، ص98، 99.

1698	6 سفن منها سفينة هولندية وأخرى برتغالية بسلع عالية القيمة.
1699	3 سفن هولندية. سفينة من جنوة وأخرى برتغالية.

إنّ بوادر الضعف والانكماش لاحت في الأفق بدءًا من أواخر القرن 17م وطوال القرن 18م وذلك بفعل أعمال البحريات الأوربية التي تزايدت قوتها وفعالية سفنها، فتناقصت الغنائم الجزائرية وتراجعت مكانة الرياس وتقلص عدد السفن إلى أقل من عشرة[1]، ففي سنة 1706م تمّ الاستيلاء على سفينة هولندية تحمل 20 طنا من بضاعة مجهولة، كذلك وجدت سجلات بين سنة 1709م و1725م في أرشيف القنصلية الفرنسية تذكر غنائم بحرية تمّ الحصول عليها من جنوة وهولندا وهامبورغ وفرنسا وشركة الهند الشرقية، كما استولى الرياس في 15 ديسمبر 1720م على سفينة فرنسية[2]، وفي سنة 1727م غنموا 25 مركبا[3]، وفي عام 1749م استولت مجموعة سفن جزائرية على سفينة حربية بندقية وسفينة تجارية فرنسية[4].

ربما يرجع ضعف الغنائم البحرية المحصلة وتراجع عددها إلى حالة السلم التي ميّزت فترة منتصف القرن 18م بين الجزائر ودول أوربا عدا مالطا ونابولي والبندقية واسبانيا، ففي سنة 1753م مثلاً استولى الرياس على 12 سفينة فقط كلّها اسبانية، فنلاحظ شحًّا في الغنائم طيلة هذا القرن الفارط[5].

يبدو أنّ أواخر القرن 18م وبدايات القرن 19م عرفت نشاطا بحريا مكثّفا غير سابق للسفن الجزائرية بعدما كانت في حالة ركود وانكماش في بداية ومنتصف القرن 18م،

---

[1]– توفيق دحماني وصباح نوري هادي العبيدي، مرجع سابق، ص175.

[2]– علي تابليت، العلاقات الجزائرية الأمريكية 1776 – 1830، ج1، الجزائر، 2013، ص137، 138.

[3]– فهيم لقوارة، ميناء مدينة الجزائر ودوره الاقتصادي في العهد العثماني (ق.10–11هـ /16–17م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2011–2012م، ص116.

[4]– علي تابليت، العلاقات الجزائرية الأمريكية 1776 – 1830، ج1، مرجع سابق، ص139.

[5]– فهيم لقوارة، مرجع سابق، ص117.

ويعود هذا الانتعاش في جملة الغنائم البحرية إلى سياسة الداي محمد بن عثمان[1] الحكيمة وكذلك انشغال أوربا في حروبها دون أن ننسى الانسحاب الاسباني من وهران وإبرام الصلح في سنة 1792م وتبعه عقد هدنة مع البرتغال في سنة 1793م، فأصبح مضيق جبل طارق مفتوحا للسفن الجزائرية، ومن جهة أخرى دور نابليون بونابرت في إنهاء القرصنة المالطية التي كانت تعيق كثيرا تحركات السفن الجزائرية، أيضا التناحر بين الدول الأوربية التي كانت جميعها تسعى إلى تكوين صداقة مع الجزائر ومساعدتها ضد أعدائها[2]، بالإضافة إلى جهود بحارة مشهورين وعلى رأسهم الرايس حميدو (1790-1815) كان لهم الفضل في تدعيم الخزينة بأرباح وغنائم كبيرة وذات قيمة عالية[3].

جدول توضيحي للغنائم البحرية في الفترة الممتدة بين (1793م-1815م)[4]

السنة	عدد الغنائم	القيمة بالفرنكات	جنسية الغنائم
1793	15	1352317	أمريكية، هولندية، جنوية، مجهولة.
1794	3	1204366	أمريكية وجنوية.
1795	8	310398	2 نابولية، 3 جنوية، مجهولة.
1796	8	202812	1 بندقية، 3جنوية، مجهولة.
1797	22	1294270	10 نابولية، 5 جنوية، 12 اسبانية، 1 توسكانية، مجهولة.
1798	42	1510529	أكثرها اسبانية وإيطالية.
1799	31	1583482	16 بندقية، 5 نابولية، 2 برتغالية، 1 مالطية،

[1]- الداي محمد بن عثمان: عاش أعزبا فلم يتزوج، شغل منصب خوجة النوباتية أي من حرس الداي، وشغل كذلك منصب الخزناجي، تولى منصب الداي سنة 1766، في عهده تمّ تحرير وهران النهائي. أنظر: صالح عباد، مرجع سابق، ص 164.

[2]- المنور مروش، مرجع سابق، ص470، 471.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية...، مرجع سابق، ص139.

[4]- المنور مروش، مرجع سابق، ص472، 473.

			1 سويدية، 1 أمريكية، 1 بروسية، مجهولة.
1800	19	523574	17 نابولية، 1 بندقية، 1 مجهولة.
1801	4	340318	3 نابولية، 1 مجهولة.
1802	20	575153	19 نابولية، 1 برتغالية.
1803	؟	43188	65 أسير من داخل الأراضي، سفينة مجهولة.
1804	9	272850	7 نابولية، 2 مجهولة.
1805	8	190433	6 نابولية، 1 بندقية، 1 برتغالية.
1806	6	283439	برتغالية، هامبورغية، مجهولة.
1807	10	357294	3 برتغالية، مجهولة.
1808	10	297106	4 نابولية، 4 برتغالية، 1 يونانية، مجهولة.
1809	7	114497	5 نابولية، 1 سردينية، 1 يونانية.
1810	1	171348	1 تونسية.
1811	4	513137	3 تونسية، 1 يونانية.
1812	12	2136675	5 يونانية، 2 اسبانية، 2 أمريكية، 1 تونسية.
1813	3	172330	3 يونانية.
1814	17	1954133	4 هولندية، 3 سويدية، 3 دانماركية، 3 اسبانية، 2 يونانية، 1 نابولية.
1815	8	770416	1 هولندية، 1 انجليزية، 1 مغربية، 4 مجهولة.

من الجدول السابق نستطيع ملاحظة النقص الفادح للغنائم في سنة 1803م وربما يرجع ذلك لغياب تسجيل الغنائم حسب رأي المنور مروش، كذلك تمّ تسجيل غنيمة واحدة سنة 1810م و3 غنائم في سنة 1813م ربما يعود ذلك لعوامل داخلية مثل المجاعة والأوبئة والأزمة داخل الحكم، وعوامل خارجية منها تعزيز الحراسة البحرية المسلحة للسفن التجارية وعقد الهدنة بين الدول المتنازعة مما يسمح لها بالتفرغ للوقوف في وجه النشاط

البحري لإيالة الجزائر، كذلك دخول بعض الدويلات تحت غطاء الحماية الفرنسية والانجليزية التي كانت الجزائر تراعي الحفاظ على السلم معهما[1].

إنّ الحقبة الزمنية الممتدة بين (1815م-1830م) تعتبر من أسوء المحطات التاريخية لإيالة الجزائر على مستوى النشاط الاقتصادي وذلك بفعل ظروف دولية زادت الطين بلّة، ففي سنة 1815م عقد مؤتمر فيينا وفي سنة 1818م عقد مؤتمر إكس لاشابيل، حيث اتفقت الدول الأوربية على إخراج قرارات جديدة تجرم القرصنة والرق وهذا ما قزّم مغامرات رياس البحر ضف إلى هذا التقدم الصناعي والتقني الذي مكّن الدول الأوربية من الوقوف في وجه الأسطول الجزائري، هذا الأخير الذي كان يعاني قلة التجهيزات البحرية الحديثة[2]، أيضا الهجوم الانجليزي الهولندي على مدينة الجزائر سنة 1816م الذي خرب بالكامل تقريبا السفن التي كانت راسية في ميناء مدينة الجزائر ولم يسلم من هذا التخريب سوى قطعتان بحريتان كانتا في وهران.

- التزام الجزائر بتقديم الدعم للأسطول العثماني في حروبه ضد روسيا كما أشرنا سابقا والحلف المسيحي واليونانيين فالكثير من السفن الجزائرية لم تعدّ من المشرق.

- السلم مع الدول الأوربية وعلى رأسها اسبانيا جعل الرياس يبحثون عن غنائم أخرى، أمّا مالطا فقد سلّحت سفنها التجارية وكذلك فعلت جنوة[3].

- تزعزع نفسية الجزائريين جرّاء استشهاد خيرة الرياس الذي يضرب به المثل في البحار "الرايس حميدو" والحصار الأمريكي للساحل الجزائري سنة 1815م[4].

- من البديهي أن نسلم بالتقارير التي أوردها المنور مروش في أنّ مداخيل الغنائم بعد سنة 1816م لم تعد تكفي حتى النفقات البسيطة التي يتطلبها التجهيز للنشاط البحري[5].

---

[1]- المنور مروش، مرجع سابق، ص475، 476.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية...، مرجع سابق، ص142، 143.

[3]- صالح عباد، مرجع سابق، ص325.

[4]- أحمد الشريف الزهار، مصدر سابق، ص118.

[5]- المنور مروش، مرجع سابق، ص481.

في سنة 1822م تمّ الاستيلاء على سفينة يونانية مشحونة بالقمح، وفي سنة 1824م تمّ الاستيلاء على خمسة سفن اسبانية تحتوي على بضاعة بلغت قيمتها 101948 ريالاً وفي سنة 1825م تمّ الاستيلاء على خمسة سفن وبيعها، وفي يوم 20 أوت 1826م استولى الرياس على سفينتين تابعتين للبابوية[1]، وفي سنة 1827م استطاعت مجموعة من السفن الجزائرية مراوغة وخرق السفن الفرنسية المحاصرة للساحل الجزائري وغنمت 5 سفن وبيعها في موانئ صديقة مجاورة، وفي نهاية أكتوبر 1827م استولت كذلك سفن جزائرية على غنيمة بحرية وبيعت بتونس بقيمة 2935650 فرنك[2]، ويذكر حنيفي هلايلي أنّ الغنائم البحرية استمرت لغاية سنة 1827م[3].

طريقة التعامل مع الغنائم: لقد كان البحارة الجزائريون يهاجمون سفن الأعداء وعند الحصول على الغنيمة يأخذ الرايس كل ما يخص حجرة القبطان، أمّا البحارة فيتقدّمون نحو البضائع والأثاث وكان في حالة استلام السفينة لا يقع أي نهب ولا يحق أنّ يباع منها أي شيء وتبعث مباشرة إلى الجزائر ويتم بيعها (أسرى + بضائع)[4]، وإذا كانت الغنيمة البحرية ليس لها قيمة كبيرة يأخذ ركابها ويفك أجزاءها ثمّ يتمّ إغراقها في الحين[5].

وعندما تصل الغنائم إلى ميناء الجزائر تخضع لإحصاء من طرف وكيل الحرج، فيحصل الداي على 12% من مجموع البضائع والأسرى ويؤخذ 01% لصيانة أرصفة الميناء[6]، أمّا الخزينة فاختلف المؤرخون في النسبة التي كانت تحصل عليها، فمنهم من

---

[1]– رزيقة حطابي ومليكة بوفراح، سجل الغنائم البحرية الجزائرية (1178 –1245هـ /1765 – 1830م) ألبير دوفو من خلال المجلة الإفريقية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص حديث ومعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور يحيى فارس، المدية، 2015م –2016م، ص55.

[2]– علي تابليت، العلاقات الجزائرية الأمريكية 1776 – 1830، ج1، مرجع سابق، ص145.

[3]– حنيفي هلايلي، بنية...، مرجع سابق، ص70.

[4]– رزيقة حطابي ومليكة بوفراح، مرجع سابق، ص34.

[5]– رزيقة حطابي ومليكة بوفراح، مرجع سابق، ص35.

[6]– رحمونة بليل، مرجع سابق، ص189.

يذكر الثمن ومنهم يذكر العشر ومنهم من يذكر السبع، أمّا حمدان خوجة يذكر الخمس، كما أنّ النسبة أخذت ترتفع مع تقلّص حجم الغنائم[1].

يذكر ألبير دوفو أنّ البايلك يحصل على الثمن من الأسرى والبضائع ثمّ يقسم الباقي من المبلغ إلى قسمين؛ قسم يوزّع على أصحاب السفينة، والنصف الآخر يوزّع على أفراد السفينة بحسب رواتبهم.

- الرايس له 20 سهما.
- الباشا رايس (النائب): خمسة أسهم.
- الأغا والطوبيجي (المدفعجي): ثلاثة أسهم.
- الأسير المسيحي (الذي يستعمل في الغزو): سهمين.
- الانكشاري والأهلي (المرتزق): سهم واحد[2].

كما كانت الغنائم البحرية توزّع على الزوايا والأضرحة وحسب ما جاء في كتاب الغنائم البحرية كانت حصة الأضرحة والزوايا من غنائم الرايس ميمون في سنة 1785م 345 ريالا دراهم صغار، وهذه الحصص الموجهة تقدّم كل عام في المولد النبوي الشريف[3].

ب- الإتاوات والهدايا الإلزامية:

- **الإتاوات:** فرضت إيالة الجزائر العثمانية على الدول الأوربية المتعاملة معها تجاريا إتاوات، مقابل السماح لها بحرية الملاحة في الحوض الغربي للبحر المتوسط وإعطاءها امتيازات خاصة كالتخفيضات على الرسوم الجمركية وحق إرساء سفنها على الموانئ الجزائرية وحماية سفنها من الأعداء، وهذا ما ينفي صفة اللّصوصية القرصنية أو الاعتداء على حرية التجارة العالمية عن البحرية الجزائرية والتي حاول الكتاب الأوربيون إلصاقها

[1]- صالح عباد، مرجع سابق، ص351.

[2]- محمد الأمين عطلي، مرجع سابق، ص103، 104.

[3]- رزيقة حطابي ومليكة بوفراح، مرجع سابق، ص38.

بالرياس الجزائريين لتبرير تحرشاتهم والتمهيد لاعتداءاتهم[1]، ولهذا فإنّه من الواضح أن نسلم بأنّ النشاط البحري أو القرصنة كما يتسنى لبعض المؤرخين تسميتها ساهمت في إثراء الخزينة العامة للإيالة الجزائرية، فكانت وسيلة ضغط للحصول على الإتاوات المالية والعينية وكذلك الهدايا الثمينة[2].

تزخر مراسلات القناصل وكتب الرحالة الأوربيين وسجلات الدولة الجزائرية بقوائم طويلة للإتاوات والهدايا[3]، ومما يلاحظ أنّ هذه الإتاوات كانت تختلف حسب طبيعة العلاقة التي تربط تلك الدول بإيالة الجزائر، كذلك للظروف السائدة في تلك الفترة تأثير على تحديد مبالغ تلك الإتاوات[4]، وفيما يلي سنعرض أهمّ الدول التي كانت تدفع الالتزامات المالية للجزائر.

اسبانيا: بعد توقيعها على هدنة 1785م وانسحابها من وهران ألزمت بدفع 18000 فرنك، وفي سنة 1807م كانت تساهم بما قيمته 48000 فرنك.

البرتغال: كانت ملزمة بدفع ما قيمته 20000 فرنك عام 1822م.

توسكانيا: ألزمت قبل سنة 1823م بدفع ما قيمته 250000 فرنك.

سردينيا: أرغمت على دفع 216000 فرنك إثر معاهدة 1746م.

فرنسا: كانت تدفع قبل 1790م ما قيمته 37000 جنيه وبعد سنة 1790م تعهدت بدفع 27000 قرش، أي 108000 فرنك وفي سنة 1816م ألزمت بدفع ما قيمته 200000 فرنك.

انكلترا: تعهدت في سنة 1807م بدفع 100000 قرش مقابل نيلها بعض الامتيازات[5].

---

[1]– حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري ...، مرجع سابق، ص71.

[2]– المنور مروش، مرجع سابق، ص463.

[3]– ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، مرجع سابق، ص107.

[4]– حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري...، مرجع سابق، ص71.

[5]– ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية...، مرجع سابق، ص140، 141.

تونس: تدفع إتاوات من الزيت والصابون السائل وهدايا أخرى من الشاشيات التي تقدّم لكبار الشخصيات تقدّر قيمة هذه المواد بحوالي 150 ألف جنيه[1].

هولندا: تدعمت العلاقات بين الجزائر وهولندا بتاريخ 12 مارس 1711م حينما أرسلت المفاوض اليهودي كوهين من ليفورنة لإعطاء نفس جديد للعلاقات بين البلدين وبالمناسبة زودت هولندا الجزائر بما يلي: 8 مدافع نحاسية، و16 مدفعا حديديا و800 بندقية، وكميات من البارود ومعدات حربية، وفي سنة 1757م تمّ التوقيع على معاهدة يتمّ بموجبها دفع الإتاوة للجزائر ودفع اللزمة المقدرة بـ 125000 فرنك، وتشير وثيقة عثمانية بأنّ هولندا دفعت للجزائر في 1797م معدات مهمة تتكون من الحبال والأشرعة و300 قطعة خشبية والبارود ومعدات لصناعة السفن، وخلال القرن 18م وتدعيما للعلاقات بين الجزائر وهولندا زودت الجزائر بألف قنطار بارود وألف بندقية وألف مسدس وألف سيف وحبال، وفي سنة 1807م دفعت 160000 فرنك[2].

النمسا: قدرت قيمة الإتاوات التي دفعتها في 1807م بـ 200000 فرنك.

نابولي: دفعت إتاوة قدرت بـ 24000 دورو فضة في سنة 1816م

النرويج: دفعت في سنة 1822م إتاوة 12000 فرنك كل سنتين.

هذا بالإضافة إلى الإتاوات المفروضة على بعض الدويلات الأخرى والتي يتم دفعها في بعض المناسبات، وهي تخص دويلات بريمن وهانوفر وبروسيا بالإضافة إلى دولة البابا[3].

الدنمارك: تشير وثيقة بتاريخ 1795م، 1796م بدفع الدنمارك للجزائر قائمة من الذخيرة والمعدات الحربية تتكون من 425 قنطارا من البارود و1000 كرة مدفعية و41 قنطارا

[1]– صالح عباد، مرجع سابق، ص352.

[2]– حنيفي هلايلي، بنية...، مرجع سابق، ص73، 74.

[3]– ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية...، مرجع سابق، ص141.

من الحديد و8 قنطار من الأسلاك و2000 قطعة خشبية من الحجم الصغير والحبال ومعدات السفن، وفي سنة 1822م دفعت الدنمارك إتاوة 180000 فرنك كل سنتين.

السويد: رصدنا في إحدى الوثائق بتاريخ 1802م قائمة بالمعدات التي قدمتها السويد للجزائر منها 23 قنطارا من البارود وكرات حديدية و230 قطعة خشبية من نوع الروبلو و2398 قطعة خشبية لصنع البراميل وكميات من المسامير وتجهيزات لصنع السفن، كما التزمت بدفع إتاوة 120000 فرنك كل سنتين بتاريخ 1822م.

البندقية: في سنة 1763م قدرت الإتاوة المفروضة عليها بـ 5000 ريالا، وفي سنة 1802م وافق البندقيون على أن يدفعوا للجزائر 50 ألف دوكة و5 آلاف دوكة كل سنة وذلك مقابل حصولهم على امتياز يسمح لهم بتسيير خمس عشرة سفينة تجارية في البحر الأبيض المتوسط[1].

الولايات المتحدة الأمريكية: في سنة 1783م كانت جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية تدفع للجزائر مائة ألف دولار سنويا، وفي أواخر سنة 1794م وافق الداي حسين على أن تقدّم الولايات المتحدة الأمريكية الضريبة السنوية في شكل عتاد وأجهزة بحرية وأن تقدّم الهدايا مرة في سنتين والمقدرة بنحو 279500 دولار، وفي شهر سبتمبر 1795م وافق الداي الدخول في مفاوضات مع الولايات المتحدة الأمريكية حيث تمّ التوقيع على معاهدة السلم مع المبعوث الأمريكي "جوزيف دونالدصون" وبموجب هذا الاتفاق التزمت الولايات المتحدة الأمريكية بدفع مبلغ 642500 دولار للجزائر نقدا بالإضافة إلى ضريبة سنوية قدرها 21600 دولارا تدفع على شكل عتاد حربي وأجهزة بحرية.

رصدت لنا وثيقة بتاريخ 1796م قائمة بالمعدات التي قدّمتها الولايات المتحدة الأمريكية للجزائر تتكون من 1000 قنطار من البارود و1000 قطعة خشبية لتجهيز السفن ومجموعة من كرات حديدية مدفعية[2].

---

[1]– حنيفي هلايلي، التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية...، مرجع سابق، ص284.

[2]– حنيفي هلايلي، بنية...، مرجع سابق، ص74.

- الهدايا الإلزامية:

لقد كانت الهدايا الإلزامية (القنصلية) التي تقدّمها الدول الأوربية لإيالة الجزائر نوعان؛ هدايا بمناسبة تعيين قنصل جديد، وهدايا تقدّم في المناسبات السعيدة مثل رأس السنة والأعياد أو بمناسبة معالجة قضايا هامة[1]، وتوزّع الهدايا على الداي وحاشيته، فيأخذ الداي والخزناجي والأغا وخوجة الخيل ساعة دقائق مرصعة بالألماس وخاتم رفيع القيمة وقفطان، وقدّم قنصل البندقية سنة 1718م "أيمو" وقبله كان الدوق لتوسكانيا هدية تتكون من مخروط محشو بالحجارة الكريمة، وأهدت انكلترا الداي وحاشيته جرار زيت وخمسين جرة من السمن وعشرين جرة من الصابون، وشواشي وسروج مطرزة للأحصنة وشيلات نسائية وعطور من مستعمراتها في الشرق الأدنى[2].

وتتكون هدايا الكتاب الأربعة والطباخين من ساعة دقائق وتتكون هدية وكيل الحرج من أصواف وجلود، أمّا هدايا البيت مالجي وقبطان الميناء والرياس والباش شاوش وتراجمة دور القناصل وغيرهم من قطع الكتان، هذا ونجد ضمن هذه الهدايا القنصلية حتى الأسلحة الرفيعة وذخيرتها، المجوهرات، علب الموسيقى، الحرير، الرخام الإيطالي، المزهريات الجميلة، شكولاطة تورين وغيرها[3]، كذلك الموظفون استفادوا وكان لهم نصيب من تلك الهدايا في مختلف المناسبات، كما استفاد بايات البايلكات من الهدايا القنصلية والكل بحساب فقد قدّم "بيكو Becot" زوجان من المسدسات لباي وهران وهذا يرتبط بالمساعي التي قامت بها فرنسا بعد تحرير وهران الأول من أجل إقامة محطة تجارية ونيابة قنصلية[4].

---

[1]- صالح عباد، مرجع سابق، ص353.

[2]- خديجة حالة، الجاليات الأوروبية في الجزائر إبان العهد العثماني (1700م-1830م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور، تخصص التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية، أدرار، 2012م/2013م، ص93.

[3]- صالح عباد، مرجع سابق، ص353.

[4]- رحمونة بليل، مرجع سابق، ص104.

وبمناسبة الحديث عن حجم الهدايا التي كانت تقدّم من طرف الدول الأوربية سنتطرق إلى عدة نماذج منها:

– قدّمت حكومة فرنسا 15 ألف ريال إلى الداي بابا حسن (1682م–1683م) وهدايا لزوجته وإلى محمد خوجة الذي هو الشخصية الثانية في الديوان، وهذه الأعطية كانت من أجل كسب الجزائر إلى جانب فرنسا ضد الانجليز[1].

– قدّمت اسبانيا بواسطة نائب قنصلها بوهران ما قيمته 120000 ريال لتسعة أشخاص من حاشية الداي وذلك تمهيدا للحصول على ترخيصات لإقامة محطة تجارية اسبانية، وفعلاً نجح في الحصول على امتياز شراء القمح من بايلك الغرب بأسعار جد مرضية، وبعدها توجّه إلى وهران لإرساء قواعد مصنعه لصناعة الصابون بوهران، حيث قدّم نائب قنصل اسبانيا هدايا بقيمة 50000 ريال لباي وهران محمد كبير وكذلك هدايا إلى قائد ميناء أرزيو باسم ملك اسبانيا[2].

– هولندا، فيذكر أنّها تقدّم ساعات وخواتم وقفاطين، ودولة الدنمارك تدفع الهدية القنصلية كل عامين مثل هولندا بمقدار 30000 سكة، وانكلترا تدفعها كل خمسة أعوام عندما يتغير القنصل[3].

– أمّا السويد فقد وضع ملكها "فريدريك Frédéric" تحت تصرف مبعوثه "جورج لوجي George Logie" 400 جنيه إسترليني لشراء مجوهرات لائقة ليقدّمها للداي ولأفراد حكومته، بالإضافة إلى تزويده بتوصيات بتقديم هدايا صغيرة لمن يراه مفيدا له في مهمته في حين يحتفظ بالهدايا الثمينة غلى حين نجاح المفاوضات والتوقيع على معاهدة سلام وتجارة وصداقة التي تمّت في 16 أفريل 1729م، وفي السنة الموالية تبعث السويد القائد

---

[1]– روضة نصرات ومريم غميمة، الموانئ الجزائرية ودورها الاقتصادي والعسكري خلال عهد الدايات 1671م – 1830م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط والحديث، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2016م –2017م، ص52.

[2]– رحمونة بليل، مرجع سابق، ص105.

[3]– خديجة حالة، مرجع سابق، ص92.

"بول غرون هافن Paul Gronhaven" إلى الجزائر بسفينتين محملتين بهدايا ثمينة تتمثل في 40 مدفع، 800 رمح، 1600 قذيفة مدفعية، 80 قطعة خشبية و8 كابلات بلغت قيمة الهدايا 20980 ريكس دالر، دون حساب تكلفة السفينة التي بلغت 10060 ريكس دالر، فردّ الداي بهدية مجاملة تتمثل في عبد وأسدين وقط وحشي وثلاثة ضباع ورسالة شكر مؤرخة في 14 فيفري 1732م[1].

– في حين نجد مملكة الصقليتين والبرتغال وقّعتا على اتفاق إذْ تدفعان هدايا مختلفة تساوي 20000 بتاك، أمّا سردينيا فتحرّرت من دفع الإتاوة بمساعدة انكلترا، لكنّها استمرت في دفع مبلغ مالي غير محدّد عند تعيين قناصلها[2].

[1]– رحمونة بليل، مرجع سابق، ص106.

[2]– نفسه، ص108.

الفصل الثالث:

عوامل ضعف البحرية الجزائرية في القرن 19م

أولا/ الحملات الانجليزية

1- الحملة الانجليزية الهولندية المشتركة 1816م

2- الحملة الانجليزية 1824م

ثانيا/ انهيار نظام الدايات

1- دور اليهود في إضعاف النشاط الاقتصادي

2- الثورات والانتفاضات الشعبية

ثالثا/ الحصار البحري الفرنسي (1827م-1830م)

1- الحصار البحري

2- سقوط مدينة الجزائر

أولا/ الحملات الانجليزية

1- الحملة الانجليزية الهولندية المشتركة 1816م:

لقد اجتمعت حكومات الدول الأوربية في النمسا تحت عنوان مؤتمر فيينا والذي كان يهدف إلى معالجة مشاكل الحروب النابولينية أساسا، ولكنهم تناولوا كذلك مسألة الاسترقاق والقرصنة المغربية كما يحنو لهم تسميتها، فأوكلت إلى بريطانيا هاته المهمة[1]، وسعياً من بريطانيا وتعزيزا للقرارات السابقة عقد مؤتمر لندن الذي دعى أيضا للقضاء على النشاط البحري الجزائري، لكن فرنسا لم تبارك هذا القرار وفضّلت الحفاظ على القرصنة بدل هيمنة الانجليز على البحر المتوسط[2].

أُعْطِيَ اللورد إكسموث قائد الأسطول الانجليزي مسؤوليةُ تنظيم حملة بحرية في ربيع 1816م لزيارة الجزائر، تونس، طرابلس، وعرض قرارات مؤتمر فيينا وإبلاغ قادتها بضرورة احترامها، وأقلع الأسطول من ليفورن في 4 مارس ووصل مدينة الجزائر في 01 أفريل 1816م[3]، وبعد المفاوضات وافق الداي على إطلاق عدد من الأسرى الإيرلنديين دون مقابل، وبعده أقلع صوب تونس وطرابلس للغرض نفسه، ولكنه في طريق عودته عرج على ميناء الجزائر ثانية بخصوص إلغاء القرصنة والاسترقاق، حيث تمّ تسوية هذه الوضعية، غير أنّه بالمقابل كان يميل إلى استعمال القوة بعد نزوله على الأرض، ولكن الداي لم يكن ممن يخشون تهديدات الأجانب وأظهر له عكس ما توقّع فانصرف بمراكبه نحو بلده غير مرغوب فيه[4].

---

[1]- يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية...، مرجع سابق، ص120.

[2]- عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي تونس- الجزائر- ليبيا من 1816 إلى 1871، ط1، تقديم: روبار منتران، الدار التونسية للنشر، 1972، ص238.

[3]- بلقاسم قرباش، مرجع سابق، ص96، 97.

[4]- عطية محمد، محن الجزائر في عهد الداي عمر 1815 -1817 م ومواقفه منها، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية مجلة دورية دولية محكمة، ع 13، قسم التاريخ، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، ص306.

أمّا أحمد الشريف الزهار فيقول في هذه الواقعة أنّ الانجليز عندما قدموا للجزائر أخبروا الحاكم بما اتفقوا عليه مع السلطان "محمود" وأنّ الأسرى النصارى بكامل الوجاقات كلهم تسرحوا بغير فدية، أمّا الأسرى الذين بالجزائر فإنّه أتى لكي يحرّرهم ولكن بعد دفع الفدية وقالوا للداي ندفع نصف الفدية هذه المرة ونأخذ كامل الأسرى وبعد أيام نكمل بقية الفدية، فكان ردّ الداي: أنّه لا يعطيهم من الأسرى إلاّ على مقدار ما يدفعونه وعندما يأتى ببقية المال يأخذ بقية الأسرى، فردّ إكسماوث أنّه يريد كافة الأسرى واغتاظ وتكلّم كلاما قويا، فجاء ردّ فعل الداي كالتالي: لا نعطيك ولا أسيرا واحداً، ولا نبطل الأسر، وافعل ما بدا لك[1].

إنّ تعرض مركز صيد المرجان بالشرق الجزائري لهجوم من طرف الجزائريين كان الذريعة المباشرة في شن حملة انجليزية ثانية ولاسيما تزامن ذلك مع الإهانات التي لصقت حكومة انجلترا واتهامها بالعمل لمصالحها جرّاء النتائج المحققة حول تجريم القرصنة الجزائرية[2].

إنّ قراءة ثانية للعلاقات الجزائرية الانجليزية تجعلنا نكتشف مزيدا من الخبايا حول أسباب حملة اللورد إكسماوث، وبالتالي يمكن القول أنّ موقف الجزائر السياسي الحيادي من حروب نابليون في أوربا هو سبب حقد الانجليز وليس إلغاء الرق والقرصنة كما يتظاهرون[3]، والدليل على كلامنا هذا هو أنّ البحرية الجزائرية لم تتعرض لسفينة انجليزية واحدة طيلة الفترة الممتدة بين 1693م و1815م ما عدا تلك الحالات النادرة التي كانت

[1]– أحمد الشريف الزهار، مصدر سابق، ص120.

[2]– عطية محمد، مرجع سابق، ص307.

[3]– عبد القادر فلوح، مرجع سابق، ص84.

محل نزاع قانوني، في حين استولى الفرنسيون على 25 ألف سفينة تجارية انجليزية على الأقل، ضف إلى ذلك حروب نابليون مع انجلترا[1].

وصل الأسطول الانجليزي والهولندي إلى الجزائر يوم 27 أوت وعليه طلب اللورد إكسماوث من الداي عقد الصلح وأن يرد عليه في ظرف ساعة، إلاّ أنّ الداي عمر وكبار المسؤولين رفضوا ذلك، وفي خضم ذلك اقترب الأسطولان من تحصينات الميناء، ودارت رحى الحرب بين الطرفين حتى خرج الانجليز والهولنديون منتصرين[2].

ويذكر شالر أنّ تصرف الداي يتسم بقلة التصميم والحزم ولا يليق بشخصيته، فإنّه لم يكتف بأن يعيد رسول الأميرال البريطاني بدون جواب على إنذاره، بل إنّه سمح في نفس الوقت للأسطول المشترك بأن يختار المواقع الملائمة لقصف المدينة دون أن تخطر في باله مقاومته[3]، أمّا المؤرخ جون وولف فيقول: "عندما سكنت المدفعية سارع الداي عمر بعقد سلام بالشروط الانجليزية الهولندية وهو لم يكن يدري أنّ السفن المتحالفة قد استنفذت عمليا جميع ما عندها من بارود وقذائف إذ كان لا يمكنها أن تقوم بهجوم آخر"[4].

على العموم يمكن التطرق إلى مجموعة من النتائج ساهمت في ضعف البحرية الجزائرية ابتداءً من العقد الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي:

– الخديعة والمكر الذي اتصف بهما اللورد إكسماوث، فقد رفرف العلم الأبيض فوق سفنه وهو ما يدل على السلم حسب ما هو متعارف عليه في القوانين الدولية أثناء الحرب، فهل

[1]– المنور مروش، مرجع سابق، ص480.

[2]– عبد الجليل التميمي، مرجع سابق، ص239.

[3]– ويليام شالر، مصدر سابق، ص156.

[4]– جون ب وولف، مرجع سابق، ص446.

يعقل أن يأتي أميرال باسم الأمم الأوربية ويدعو إلى العدل والإنسانية وإلغاء استعباد الناس وأوّل أمر يقوم به هو مخالفة الأعراف الدولية[1].

- إلغاء الرق وتحرير الأسرى المسيحيين دون فدية وهو ما ضيّع على الجزائر فرصة انتعاش الخزينة بحوالي مليونين من الريالات الفرنسية.

- دفع تعويض حربي مقداره 500 ألف فرنك.

- اعتذار الداي علانية عمّا جرى للقنصل الانجليزي.

- تضرر مخازن الأسلحة والبارود من القصف كما تحطمت معظم بنيات مدينة الجزائر.

- إحراق شبه كلي للأسطول البحري الجزائري[2].

- إحراق كل البواخر والسفن التجارية.

- تحطيم الميناء والتحصينات الدفاعية خلال ساعة.

- خسائر بشرية معتبرة من كلا الطرفين وقد تضاربت الآراء حول عددها[3].

- عقد صلح مع الفلامينك أي الهولنديين ولم يدفعوا شيئا مما كانوا يطلبونه منهم وهو غرامة سبع سنين، حيث كان الفلامينك يعتزمون دفع غرامة ثلاث سنين ثمناً للصلح[4].

- تراجع هيبة الجزائر دوليا حيث يذكر شالر أنّ أمريكا وقّعت مؤخرا معاهدة أملينا نحن شروطها على الجزائر.

- في سنة 1817م وقعت ثورة ضد الداي كلفته حياته ويرجّح أنّ مردّ ذلك بسبب سياسة الداي والمصائب التي حلّت عليه.

- يؤكّد شالر قائلا: لو استأنف قصف المدينة في اليوم التالي لجلى عنها الأتراك ولأصبح من الممكن للأسطول البريطاني الهولندي احتلالها[1].

---

[1]- عطية محمد، مرجع سابق، ص307، 308.

[2]- حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوربية...، مرجع سابق، ص29، 31.

[3]- عبد الجليل التميمي، مرجع سابق، ص240.

[4]- أحمد الشريف الزهار، مصدر سابق، ص125.

2- الحملة الانجليزية 1824م:

على الرغم أنّ الحملة الانجليزية الهولندية المشتركة سنة 1816م كان لها نتائج وخيمة على العتاد والعباد إلّا أنّها لم تحقق الغاية المنشودة التي كان يصبو إليها الحكام الأوربيون في مؤتمر فيينا، حيث بدأ التحدي الجزائري واضحا من خلال استمرار النشاط البحري منذ سنة 1817م، وسجّل الأسطول الجزائري عدّة غنائم على سفن كل من بروسيا وهولندا وهامبورغ وانجلترا[2]، هذه الوضعية جعلت الدول الأوربية تجتمع من جديد وبالفعل تمّ عقد مؤتمر إكس لاشابيل في جنوب ألمانيا سنة 1818م واتفق مندوبو الدول الأوربية على توجيه ضربة أخرى للقضاء على ما يعرف في أدبياتهم بالقرصنة ووقّعوا بروتوكولاً ينص على أن يواصوا في المؤتمر الوزاري الذي سينعقد في لندن للنظر في المقترحات لإلغاء القرصنة البحرية التي تمارسها الدول البربرية[3].

وتنفيذا لتوصيات المؤتمر أوفدت فرنسا وانجلترا الأميرالين "جورين Jurien" و"فريمانتل Freemantale" إلى الجزائر وبعد أن سمع الداي حسين تلك المطالب رفض الموافقة، بل أمر بتكثيف النشاط البحري وأنذر جميع القناصل الأوربيين في حالة رفضهم دفع الإتاوات فإنّهم يعتبرون من الأعداء وبقي الوضع هكذا حتى عام 1823م[4].

إنّ ثورة الأهالي في أكتوبر 1823م في بجاية واختبائهم بمقر القنصل البريطاني كانت سببا في تأجيج العلاقات الجزائرية الانجليزية، وذلك بعدما أشار الداي باقتحام مركز القنصلية الانجليزية وأخذ الأهالي الثائرين الأمر الذي لم يرق للبريطانيين ورأوا فيه المساس بحصانة القنصلية لممثل حكومتهم وقاموا بإرسال حملة عسكرية بحرية على

---

[1]- ويليام شالر، مصدر سابق، ص158، 159.

[2]- حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوربية...، مرجع سابق، ص32.

[3]- نفسه، ص15، 16.

[4]- أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر...، مرجع سابق، ص159، 160.

الجزائر بقيادة "السير هنري نيل Sir Henry Neel"[1]، وقد ظل الانجليز يحاصرون السواحل الجزائرية ويعززون أسطولهم بقطع أخرى يوماً بعد يوم، مطالبين بإملاء جميع شروطهم على الداي إلاّ أنّ هذا الأخير ظل متشبثاً بآرائه وأصرّ على عدم عودة القنصل الانجليزي "ماك دونال"، وعندما أيقن الانجليز تَعنُّتَ حكومة الجزائر شنّوا هجوما أخيرا في 24 يوليو (جويلية) بلغ تعداد أسطولهم هذه المرّة 24 قطعة، ولما اقتربوا من الميناء بدأت المدفعية الجزائرية في إطلاق الرصاص والقنابل على العدو، ويذكر أنّ الجزائريين لم يتضرروا من هذه الغارة وصمدوا صمود الأبطال واضطر الانجليز إلى الانسحاب ورفع الانجليز العلم الأبيض، وتوصّل الطرفان إلى معاهدة صلح يوم 26 يوليو قَبِل الداي بمقتضاها شروط انجلترا بعد أن وافقوا على تغيير القنصل "ماك دونال"[2].

يمكننا القول أنّ الحصار الذي فرضه الانجليز سنة 1824م على الرغم من كونه لم يكن بحجم الحملة الانجليزية الهولندية عام 1816م، لكنّه أحدث انعكاسات سلبية على التجارة الجزائرية الخارجية حيث تغير خط التجارة بعدما كان باتجاه الدول الأوربية تغيّر مساره وضاق مجاله، فأصبح نحو البر عن طريق تونس والمغرب[3]، ليس هذا فقط، بل أصبحت الجزائر ضحية للصراعات بين الدول الأوربية العظمى فرنسا وانجلترا ممّا دفع بالحكام الجزائريين يركزون جهودهم لمواجهة هذا التكالب الاستعماري وسخروا لذلك إمكانيات مادية وبشرية وكان ذلك على حساب التنمية الداخلية[4].

---

[1]– محمد زروال، العلاقات الجزائرية الفرنسية1791–1830م، مطبعة دحلب، حسين داي، الجزائر، 1994م، ص75.

[2]– أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر...، مرجع سابق، ص164، 165، 166.

[3]– حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوربية...، مرجع سابق، ص37.

[4]– أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر...، مرجع سابق، ص167.

ثانيا/ انهيار نظام الدايات

1- دور اليهود في إضعاف النشاط الاقتصادي:

ساهم اليهود المقيمون بالجزائر إلى حد كبير في تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية ابتداءً من أواخر القرن 18م، إذ كانوا وراء كل التوترات والاضطرابات التي نشبت داخليا بين الحكام والجيش، وخارجيا بين الجزائر والدول الأوروبية[1]، ولعلّ ما ساعدهم على ذلك هو نفوذهم المتزايد على مستوى التجارة الداخلية والخارجية على حد سواء، فكانوا يرسلون قوافل محملة بالحرير والأقمشة والمصنوعات الأوربية إلى مختلف المدن الجزائرية، وقد ترتّب على هذا الوضع أن فقدت الجزائر جزءًا كبيرا من عائدات التجارة.

وإذا قلنا أنّ الجزائر تحكمت نسبيا في التجارة الداخلية، فإنّها عجزت عن فرض سيطرتها على التجارة الخارجية إذ كانت معظم أرباحها يستفيد منها اليهود والأجانب، أمّا

[1]- أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر...، مرجع سابق، ص117.

التجار الجزائريون فرغم سعيهم لممارسة هذا النوع من التجارة لكنّهم كانوا دائما ما يتعرضون لمضايقات القراصنة الأوربيين في حوض المتوسط[1].

إذا أردنا معرفة أسباب سيطرة ونفوذ اليهود على الشبكة التجارية ما علينا إلاّ أن نتأمّل في العلاقات التي تربطهم بالدايات والبايات وكبار المسؤولين، فقد تمكّن اليهود بواسطة تقديم معلومات إلى الدايات حول التحركات الأجنبية وتقديم الرشوة إلى الموظفين ومساعدة بعضهم إلى الوصول إلى مناصب عليا، وغيرها من الأساليب التي تعوّدوا على استعمالها[2]، وعلى سبيل المثال نذكر حادثة شفاعة بوشناق لمصطفى الوزناجي باي التيطري عندما أنقذه من حد الموت سنة 1792م، ثمّ تقديم يد المساعدة له واقتراضه بالمال ثمّ قدّمه للداي في صورة جديدة والْتمَس له العفو فعفى عنه، ثمّ عينه قائدا على منطقة سيباو، وفي سنة 1795م رفعه إلى رتبة باي قسنطينة، ومن البديهي أنّ الوزناجي بعد هذه الخدمات أصبح يدين بالولاء لبوشناق، ففتح جميع الأبواب للشركة اليهودية في مقابل مضايقة المؤسسات الفرنسية فاستحوذت مؤسسة بكري وبوشناق على احتكار تجارة الحبوب والجلود والأصواف والشموع التي دخلت أسواق شرق الإيالة[3].

إنّ هذا الامتياز الذي حصل عليه اليهوديان بكري وبوشناق في احتكار تجارة الحبوب بالشرق الجزائري أدّى إلى ارتفاع الأسعار، وبالتالي إلى انتشار المجاعة في أوساط الشعب فعَمَّ السخط والتذمر أوساط الرأي العام الذي حمّل الداي مسؤولية هذه

---

[1]– نفسه، ص73، 74.

[2]– كمال بن صحراوي، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية، المركز الجامعي مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2007م –2008م، ص133.

[3]– حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوربية...، مرجع سابق، ص53، 54.

الأوضاع المزرية وَاتُّهِمَ بالتواطؤ مع اليهوديين باقتسام أرباح التجارة، الأمر الذي جعل جنود الانكشارية يثورون فقتلوا "نفتالي بوجناح" وكذلك "الداي مصطفى"[1].

لم يقتصر احتكار اليهوديين على تجارة الحبوب فقط، بل امتدّ أمرهما إلى كل القطاعات الحيوية في البلاد فسيطروا على تجارة الأخشاب التي تعتمد عليها صناعة السفن والبواخر، فاحتكروا بيع الأخشاب في المنطقة الممتدة من بجاية إلى نواحي القل وذلك بموجب ترخيص من الداي مصطفى باشا عام 1799م، وكان من تبعات احتكار هذه المادة أن ضعفت البحرية الجزائرية وذلك لأنّ هذه التجارة كانت ممنوعة على كل الأهالي إلاّ على التاجرين اليهوديين، فحدّدا لها ثمنا بخصًا لم يتعوّد المحتطبون من الأهالي البيع بمثله ممّا أدّى بالتالي إلى كساد هذه التجارة وتركها نهائيا فقلّت الأخشاب وبالتالي ضعفت البحرية[2]، أمّا فيما يخص سيطرتهم على التجارة الخارجية مع مختلف الإمارات والدول الأوربية فإنّ حضور اليهود كان أقوى من التجار الجزائريين، وتأتّى لهم ذلك من خلال العوامل التالية:

– اعتماد الجزائر على خرجاتهم التجارية بدل التجار الأهالي من الجزائريين لأنّ هؤلاء كانوا يتعرضون لاعتداءات أوربية تمنعهم من تكوين أسطول تجاري.

– التنظيم الاحتكاري الذي منع المساهمات الفردية للطبقة المحلية من الأهالي إذ كان بيع الحبوب والمنتوجات الحيوانية لا يسمح إلاّ للحكومة بينما تعود أرباح الوساطة مع الخارج لليهود والشركات الأوربية.

– إطِّلاع اليهود على أحوال الاقتصادية في العالم المسيحي وانفتاحهم على أوربا ومعرفتهم الواسعة للغات.

[1]– محمد زروال، مرجع سابق، ص30، 31.

[2]– نفسه، ص32، 33.

– تلاشي النشاط البحري الجزائري ومنه تلاشي الأسطول التجاري الجزائري أواخر القرن 18م وبداية القرن 19م تاركاً المجال مفتوحا أمام البحرية التجارية الفرنسية والانجليزية كقوتين منافسيتين[1].

ومن خلال علاقات اليهود التجارية مع الأقطار الخارجية وعلى سبيل المثال فرنسا، فإنّنا نلاحظ الدور الواضح لهاته الفئة في تدهور الوضع التجاري والسياسي بالنسبة للعلاقات الجزائرية الفرنسية وذلك بتلاعباتهم في قضية الديون الجزائرية على فرنسا، وهنا نذكر الحادثة التي خُدِع فيها الداي من قبل وكلاء من عائلة بكري، حيث بعدما قبضوا مبلغ 4,5 مليون فرنك الذي تسلّموه من الحكومة الفرنسية والتي كانت تريد توصيله للداي إلاّ أنّهم قرّروا عدم العودة إلى الجزائر، فاستقر "ناتان بكري" في باريس بينما رحل "ميشيل بوشناق" إلى مدينة ليفورن الإيطالية وتركا الداي يتخبط في المشاكل مع الحكومة الفرنسية، وعموما كانت قضية الديون التي تماطلت في تسديدها فرنسا سببا في توجيه حملة عسكرية لاحتلال الجزائر[2].

2- الثورات والانتفاضات الشعبية:

مع مطلع القرن التاسع عشر عرفت الجزائر سلسلة من الثورات قادها مجموعة من المرابطين وشيوخ الزوايا أرهقت النظام الحربي للجزائر وهدّدت التواجد العثماني وكانت عاملا حاسماً في زواله، كما تزامنت هذه الثورات مع ظروف خارجية زادت في تعكير

[1]– حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوربية...، مرجع سابق، ص38، 39.

[2]– يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية...، مرجع سابق، ص127، 128.

الجو وفي صعوبة التصدي لها منها التنافس الانجليزي الفرنسي على اكتساب مناطق النفوذ داخل إيالة الجزائر[1].

ومن الأسباب التي أدّت إلى قيام الانتفاضات ضدّ الداياتِ التهميشُ السياسي إذ عمل العثمانيون طوال فترة تواجدهم بالجزائر على إبقاء الأهالي بعيدين عن تولي المناصب الإدارية والسياسية خوفا من فقدانهم مقاليد الحكم، وللتأكيد على هذا الطرح فإنّنا نرى أنّ سياسة التهميش طالت حتى المجال العسكري، حيث منع الأهالي الجزائريين من أية مشاركة فعلية سواء في الدفاع أو المحافظة على الأمن الداخلي ممّا ساعد على المحافظة على الطابع العثماني للدولة الجزائرية وعدم اندماج السكان المحليين واعتبارهم فئة محكومة فقط، والشيء الذي زاد الأمور تعقيدا أكثر هو أنّه حتى النظام الاقتصادي لهؤلاء العثمانيين كرس التهميش والاحتقار، فمنحت الامتيازات والتسهيلات للأجانب واليهود دون غيرهم من التجار الجزائريين، بل وفرضت عليهم الضرائب الباهضة والغرامات المجحفة[2]، وعليه كان من الطبيعي انتشار موجة من الاستياء العام لدى السكان تلخّصت في هذه الثورات الشعبية ومنها نذكر:

– **ثورة الشريف بن الأحرش:** تعتبر هذه الانتفاضة أخطر ما حدث في مقاطعة قسنطينة قبيل الاحتلال الفرنسي، لأنّها كادت أن تقضي على بايلك الشرق ولأنّها دامت ثلاث سنوات متتالية واتهمت فيه دولة أجنبية بالتعاون مع الثوار[3].

تعود انطلاقة ابن الأحرش الأولى بعد عودته من أداء فريضة الحج، حيث صادف الحملة الفرنسية على مصر، فشارك في مقاومتها فأظهر شجاعة وبلاءً الشيء الذي

---

[1]– حنيفي هلايلي الثورات الشعبية في الجزائر أواخر العهد العثماني كرد فعل على سياسة التهميش، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية دورية أكاديمية متخصصة محكمة تعنى بالدراسات الإسلامية والإنسانية، ع 20، جامعة سيدي بلعباس، ربيع الأول 1427/أفريل 2006، ص200.

[2]– نفسه، ص190، 195، 196.

[3]– العربي الزبيري، مرجع سابق، ص28.

أكسبه الشهرة وحين وصوله إلى تونس تعرّف على حمودة باشا الذي أقنعه بمحاربة العثمانيين في الجزائر، وما إن دخل جيجل حتى حرّض سكانها للوقوف معه وجهّز العدّة والجنود وأصبح يجمع الضرائب[1]، وقام بالاستيلاء على عنابة وسار نحو قسنطينة في ربيع 1804م.

قابله الباي عثمان بحملة قوية تتكون من أربعة آلاف من الانكشاريين والزواوة المشاة وأربعة مدافع و3500 فارس، لكن هاته الحملة فشلت وقتل فيها الباي وكثير من الجنود، وعلى إثر هذه الهزيمة النكراء تدخّل الداي مصطفى وأمر قبطانه حميدو بتسيير حملة إلى جيجل قُصفت إثرها المدينة دون تحقيق نتيجة، وبعدها أرسل الداي الحاج "علي أغا" والباي الجديد "عبد الله بن إسماعيل" هذا الأخير الذي كان مصاهراً لإحدى شيوخ القبائل العربية، فبمجرد وصوله كاتب أصهاره وجمع الرعية وساير كبراء العرب واجتمع لديه أهل المخزن وبفضل هذه الجهود ضيّق الباي الجديد على ابن الأحرش، كما أنّ السكان تخلّوا عنه فاختفى ولم يظهر إلاّ في فيفري 1806م محاولاً استنهاض قبائل بجاية[2]، وكانت لهذه الثورة آثار سلبية كبيرة ومنها ما يلي:

– أصبح بايلك الشرق يتخبط في جو من الفوضى والاضطراب نتيجة الصراع على الحكم وإتلاف المحاصيل الزراعية وهلاك المواشي وانتشار المجاعة والفقر[3].

– وفي هذا الصدد يصف صالح العنتري الحال قائلا: " فحصلت للناس شدة ومجاعة قد أشرف فيها الضعفاء على الهلاك خصوصا بعض نواحي القبلة فإنّهم تشتتوا عن منازلهم وتفرقوا بسبب الهول الواقع في وطنهم مع الشر والمصائب التي حلّت به"[4].

---

[1]– صالح عباد، مرجع سابق، ص194، 195.

[2]– مصطفى بن عمار، مرجع سابق، ص129.

[3]– العربي الزبيري، مرجع سابق، ص33.

[4]– محمد صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تقديم وتحقيق: رابح بونار، د ط، الجزائر، 1394هـ /1973م، ص33.

– ضعف نفوذ البايلك بالأرياف وزيادة انعزال المدن وانتشار حركة تمرد واسعة النطاق في أوساط القبائل الجبلية شملت الجهات الشرقية والوسطى من البلاد، وتجاوبت معها قبائل أولاد نايل والجنوب التي سارعت إلى الامتناع عن دفع الضرائب ورفع السلاح في وجه رجال البايلك[1].

– هزيمة الجيش التركي وخسائر في الأرواح من كلا الطرفين (مقتل الباي عثمان وجلّ ضبّاط جيشه)[2].

– زادت في حدّة التنافس الانكليزي الفرنسي على اكتساب مناطق النفوذ بالإيالة الجزائرية وهذا ما جعل كثيرا من الناس يعتقدون في بادئ الأمر أنّ ابن الأحرش يتعامل مع الفرنسيين وأنّ نابليون بونابرت على رأس الثائرين، وكادت هذه الإشاعات أن تجد أذانا صاغية من بعض رجال الديوان إثر وصول قطع من الأسطول الفرنسي للتفاوض مع الجزائريين على إطلاق الأسرى الفرنسيين والإيطاليين[3].

– ثورة درقاوة في بايلك الغرب:

كانت الدرقاوية من أقوى الطرق في الجزائر وكان مركزها الرئيسي في جبال الونشريس وجنوب التيطري ولها أتباع كثيرون في غرب الجزائر، ولقد أبدى الدرقاويون مقاومة عنيفة للعثمانيين حتى صار تعبير "عاصي" يوازي تعبير "درقاوي"، وكان نشاط

[1]– ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية...، مرجع سابق، ص292.

[2]– أحمد بن سحنون الراشيدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: الشيخ المهدي بوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2013م، ص45.

[3]– ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية...، مرجع سابق، ص292ص292.

هذه الطريقة بدءًا من أوائل القرن 19م حيث أشعلت الدرقاوية ثورة خطيرة في منطقتي قسنطينة ووهران بالإضافة إلى أغلب الجهات الشرقية من الإيالة[1].

كانت أوّل المناوشات بين الدرقاويين وبين الداي يوم 04 جوان 1804م عندما قام فرسان درقاوة بمباغتة فرسان الباي مصطفى المزابي باي وهران في منطقة "فرطاسة"، وكانت الغلبة فيها لصالح الشريف الدرقاوي[2] وتشتت قوات الباي، وفَرَّ هو وجنوده باتجاه معسكر، حينها لحقه الشريف الدرقاوي واستولى على معسكر في 6 جوان 1804م بمساعدة من القبائل، وقرّر أيضا الاستيلاء على وهران، وفي طريقه إليها نهب وسلب كل ما وجد.

وكان ردّ السلطة المركزية عنيفا حيث أمر الداي بإرسال سفينة محمّلة بالجند، كما أرسل من يخلف الباي "مصطفى المزابي" وهو الباي الفاتح بن محمد الكبير، وقام هذا الباي الجديد بفتح أبواب مدينة وهران وطرد مصطفى المزابي[3] الذي يقول عنه أحمد الشريف الزهار: "إنّ الباي الجديد كتب للمخزن القديم وكتب لكبراء العرب، وأخبرهم بقدومه، وبذل لهم الأموال...ونادى مناديه أنّ من أتى برأس (من الأعداء) يأخذ عشرة سلطانية، فوقعت قتالات...ثمّ إنّ الدرقاوي هرب إلى عمالة الغرب والباي ومحلته رجعوا مع الرعية... وأطاعته البلاد، واستقرّ له الأمر ثمّ رجع لوهران[4].

كنتيجة للأحداث السابقة كان لابد من وقوع خسائر مسّت الرعية والحكّام، فكانت ثورة درقاوة التي دامت 10 سنوات وبالاً على المقاطعة الغربية، وسببا في تخريب شامل

---

[1]– حنيفي هلايلي، أوراق...، مرجع سابق، ص30، 31.

[2]– محمد بن عبد القادر بن الشريف: يعود أصله إلى قبيلة بربرية وهي كسانة المقيمة على ضفاف وادي العبد بضواحي غريس بولاية معسكر، درس بالقيطنة والمغرب وعين مقدما بعد عودته إلى الجزائر. أنظر: عبد القادر صحراوي، ثورة الطريقة الدرقاوية في الجزائر أواخر العهد العثماني، مجلة الحوار المتوسطي، مج 15 – 16، جامعة سيدي بلعباس، مارس 2017، ص467.

[3]– مصطفى بن عمار، مرجع سابق، ص133.

[4]– أحمد الشريف الزهار، مصدر سابق، ص87.

للحياة الاقتصادية والاجتماعية فيها كما كانت سببا في تقتيل مئات من أبناء الوطن وفي استنفاذ الطاقات الحربية التي كانت الدرع الواقي للهجمات الخارجية[1]، كما تسببت هذه الثورة في مقتل الكثير من الجنود الأتراك وساهمت في زرع العداوة والصراع بين عدة قبائل في الغرب الجزائري، وكذلك أدّت إلى ضعف القوة العثمانية وزعزعة الأمن والاستقرار[2].

ومجمل القول أنّ ثورات القرن 19م جعلت من الجزائر فريسة سهلة بيد الفرنسيين بعد تردّي أوضاعها السياسية والاقتصادية والعسكرية، فعلى المستوى السياسي أدّت إلى هجرة الكثير من القبائل الجزائرية نحو المغرب الأقصى وخاصة القبائل الغربية للجزائر وذلك من جرّاء السياسة الضريبية والقمع العسكري لها، وعلى سبيل المثال فرار سكان تلمسان مكرهين نحو المغرب[3]، ويصف الناصري الحال قائلا: "وَجَلَا أهل تلمسان عنها إلى بلاد المغرب بسبب القحط وكذا عربها، وأهل جبالها كلهم جلوا عن أوطانهم..."[4].

ثالثا/ الحصار البحري الفرنسي (1827م-1830م)

1- الحصار البحري:

[1]- مسلم بن عبد القادر، ذخائر المغرب العربي تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر، تحقيق وتقديم: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1394هـ/1974م، ص55.

[2]- مصطفى بن عمار، مرجع سابق، ص134.

[3]- حنيفي هلايلي، أوراق...، مرجع سابق، ص38.

[4]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة العلوية، القسم الثاني، ج8، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997، ص111.

بعد أن وقع الخلاف بين الداي حسين والقنصل الفرنسي "دوفال" عاد هذا الأخير إلى بلاده واعتبرت الحكومة الفرنسية تلك الحادثة (حادثة المروحة) فرصة لضرب حصارها على السواحل الجزائرية، ومهما كانت الأسباب التي دفعت الفرنسيين إلى فرض حصارهم فإنّ الحقيقة تبين أنّها مجرد حلقة من مسلسل المشاريع الفرنسية للاستيلاء على الجزائر[1].

أرسلت فرنسا الضابط "كولي Colly" على رأس ست بوارج حربية بحرية إلى الجزائر وذلك في 12 جوان 1827م ليملي مطالب حكومته على الداي الذي واجهها بالرفض، ولمّا تصلب الداي في موقفه فقد أعلن كولي الحصار على الجزائريين في 16 جوان 1827م، وتزامننا مع بدء هذا الحصار غادر الرعايا الفرنسيون المقيمون بالجزائر، أمّا الداي فردّ من جهته بأن أصدر أوامره بهدم المؤسسات والمصارف الفرنسية في القالة وعنابة بعد جلاء الفرنسيين عنها[2].

كانت فرنسا تعزز من وحدات سفنها كلّما سمحت الفرصة لذلك وبهذا فقد ضيقت وطوّقت الموانئ الجزائرية وأغلقت عليها مصادر التموين، فقد ذكر بعض الفرنسيين أنّ ملك السويد أرسل في 4 أوت 1827م سفينة محمّلة بالذخائر الحربية كإتاوة سنوية إلى داي الجزائر، لكن قوات الحصار منعتها واقتادتها أسيرة كما أسرت سفينة جزائرية وأخرى تونسية في 14 سبتمبر 1827م محمّلتين بالبضائع[3].

كانت المعركة البحرية الأولى يوم 04 أكتوبر، حيث انطلقت إحدى عشرة سفينة جزائرية نجحت في مغادرة الميناء لفك الحصار المضروب على الشواطئ، أمّا أسطول العدو فسارع لملاقاة السفن الجزائرية وبدأت المعركة وكان الآلاف من السكان على سطوح

---

[1]– أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر...، مرجع سابق، ص183.

[2]– محمد زروال، مرجع سابق، ص93، 94.

[3]– نفسه، ص98، 99.

المنازل يشاهدون الواقعة عن كثب، ودام القتال قرابة ساعتين، وبعدها تراجعت الوحدات الجزائرية إلى الميناء وكذلك العدو انسحب إلى الخلف خط الحصار، وخلّفت هاته الاشتباكات 20 قتيلا و40 جريحا جزائريا وعطب سفينتين[1].

لربما إنّ السبب الحقيقي لإعراض فرنسا في هذا الوقت عن شن حملة على الجزائر يعود أساسا إلى انهماكها في قضايا اليونان بصفة خاصة والشرق بصفة عامة، فقد كانت مرتبطة مع كل من روسيا وانجلترا بموجب معاهدة "لندن" المبرمة يوم 26 يوليو 1827م وتقضي هذه المعاهدة بأن تتوسّط الدول المتحالفة في النزاع القائم بين الدولة العثمانية واليونان، كما نصّت أيضا على أنّ هذا التوسط يُدعَّم بقوات مشتركة وفعلاً فقد تمّ إرسال هذه القوات الفرنسية إلى نافارين حيث دارت المعركة الشهيرة في 20 ديسمبر 1827م، ولذلك اكتفت الحكومة الفرنسية بعملية الحصار على إيالة الجزائر[2].

ولم يكن الحصار مقتصرا على مدينة الجزائر وحدها، بل شمل جميع البلاد شرقا وغربا وحال دون وصول المواد الأوربية إلى البلاد الشيء الذي أثّر على السكان الذين أبدوا تذمرهم من عدم وقلة الكسب بسبب تعطّل موانئهم عن التبادل التجاري، فكانت إذاً الخسائر مادية وبشرية[3].

لابد من التأكيد على أنّ الحصار الفرنسي للموانئ الجزائرية لم يؤثر على الأوضاع الاقتصادية فقط، بل أثّر سلبا كذلك على بنية المجتمع الجزائري مما ساعد على ضعف البحرية الجزائرية، حيث أصبح بحارتها لا يمتلكون أي رغبة في ردّ العدوان[4].

---

[1]– حليم سرحان، تطور صناعة السفن الحربية بالجزائر على عهد العثمانيين...، مرجع سابق، ص184.

[2]– محمد زروال، مرجع سابق، ص95.

[3]– عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830–1962)، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2016، ص45.

[4]– أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر...، مرجع سابق، ص190.

وفيما يخص طلقات المدفعية المشؤومة التي وجّهت للسفينة "البروفانس" وهي السفينة التي يركبها "دولابروتونيار" والتي وصلت إلى ميناء الجزائر يوم 30 جويلية 1829م للتفاوض مع الداي حول حل الأزمة العالقة منذ سنتين ربما كانت غير مقصودة من طرف الجزائريين، لكن الحكومة الفرنسية اتخذتها ذريعة لتعفين الوضع وتعكيره أكثر، فعندما فشلت المفاوضات اقتربت السفينة من الشاطئ فظنّ بعض القادة الجزائريين أنّها تتجسس فأطلقوا عليها النار[1]، وفي هذا يذكر حمدان خوجة أنّ هذه الحادثة ضاعفت الأسباب وجعلت فرنسا تقرر الحرب وعجّلت بؤسنا وخرابنا رغم أنّ الداي حسين لم يكن على علم بها، الأمر الذي جعل هذا الأخير يعزل وزيره ويبعد رئيس المدفعيين الذي أمر بإطلاق النار[2].

لكن هذا القرار من الداي لم يجدِ نفعا لأنّ فرنسا كانت مصرّة على أن تغزو الجزائر بقوات ضخمة، فبدأت بالتفكير والتدبير لإنزال قواتها في مدينة الجزائر، ومن هنا نستنتج أنّ حكومة أحفاد نابليون كانت تبحث عن الحرب أكثر من السلم وتبحث عن الاحتلال أكثر من ردّ شرفها المزعوم[3].

2- سقوط مدينة الجزائر:

أدركت الحكومة الفرنسية عقم الحصار الذي فرضته على سواحل الجزائر ولهذا عندما تولى "بولينياك" رئاسة الوزارة الفرنسية في 18 أوت 1829م رأى أنّ الحل الوحيد لإخراج بلاده من الأزمة هو إعداد حملة عسكرية ضد الجزائر وراحت تبحث عن أسباب

[1]- حليم سرحان، تطور صناعة السفن الحربية بالجزائر على عهد العثمانيين...، مرجع سابق، ص185.

[2]- حمدان خوجة، مصدر سابق، ص145، 146.

[3]- يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية...، مرجع سابق، ص133.

جديدة لتبرير مشروعها الاستعماري، فاتخذت من حادثة قصف السفينة لابروفانس الذريعة الأخيرة لبدء حملتها البرية[1].

أعطى الملك شارل العاشر الضوء الأخضر لسير الحملة يوم 07 فبراير 1830م وكان من ضمن الخطط النفسية استعمال الخدعة عن طريق تمرير منشور عبر تونس كان عبارة عن نداء مترجم للعربية تمّ توزيعه على القضاة والأشراف والعلماء وكبار المشايخ جاء فيه وصف الداي بسوء المعاملة للرعايا وتخريب البلاد وإهانة فرنسا، وتمّ إرسال حوالي 400 نسخة مررت يوم 22 ماي من نفس العام، ورغم محاولة الداي جمعها إلاّ أنّه فشل[2].

استعانت الحكومة الفرنسية بتقرير بوتان وخرائطه ودرس العسكريون الفرنسيون أسباب فشل حملات الاسبان السابقة حتى يتجنبوها وتمّ الاتفاق مع اسبانيا على تزويد الحملة بالمؤن والذخائر وإصلاح المراكب المعطوبة وفتح مستشفيات ومخازن لها في جزر البليار، وجنّدت 37331 عسكريا و4000 حصانا و701 سفينة مختلفة الأشكال والأحجام، رغم أنّ هذه الإحصائيات متباينة فقد أختلف حول تقديراتها بين الكُتّاب والمؤرخين[3].

وصلت الحملة إلى عرض مياه مدينة الجزائر يوم 13 جوان متجهة نحو الجزء الغربي لميناء سيدي فرج، بالمقابل أطلقت المدفعية الجزائرية بعض القذائف صوب السفن الغازية فجرحت 5 فرنسيين.

إنّ ما يثير الاستغراب هو ضعف التجهيزات للتصدي للكفرة الفرنسيين، لأنّ الداي كان عارفا بالحملة منذ ستة أشهر كما كان يعلم أن الإنزال سوف يكون في سيدي فرج،

[1]– أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر...، مرجع سابق، ص191، 192.

[2]– صالح عباد، مرجع سابق، ص252.

[3]– يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية...، مرجع سابق، ص133، 134.

لكنّه لم يكن يتصور هجوما بريا على مدينة الجزائر وهذه الثقة هي التي منعته من تحصين سيدي فرج واستعمال كل إمكانياته[1]، وفي هذا الشأن يقول حمدان خوجة: "في سيدي فرج لم تحضر المدفعية ولم تحفر الخنادق ولم يكن هناك سوى اثني عشر مدفعا كان الأغا السابق (يحيى أغا) قد نصبها في بداية إعلان الحرب"، كذلك لم يكن تحت تصرف الأغا سوى 300 فارس ولم يكن مع باي قسنطينة إلاّ عددا قليلا جدا من الأجناد، لأنّه لم يكن مستعدا لخوض المعركة وكان باي التيطري في المدية ولم يصل منها إلاّ بعد بضعة أيام، كما أنّ نزول قوات دوبرمون كان صدفة ومعرضا للخطر، لأنّه أنزل الرجال قبل المؤن والمدفعية وما من شك أنّ الجيش الفرنسي كان يمكن أن يُهزم لو وقع نوع من التحضير لصدّ هذا الإنزال[2].

كما أنّ عزل القائد يحيى أغا قد أثّر على نفوس الجنود فقد عُرِف عنه أنّه أحسن رجال تلك الدولة عقلا ومعرفة، فقد اتهم بالفساد ثم نفي للبليدة وتمّ قتله هناك[3]، وتولى قيادة الجيش بعده الأغا إبراهيم الذي لا يعرف الفن العسكري، فكان يريد محاربة الفرنسيين بدون جيش منظم ولا ذخيرة حربية ولا مؤن ولا شعير للخيل، ضف إلى ذلك فإنّه كان يخالف أوامر الباشا حسين، هذا الأخير الذي سلّم مبالغ كبيرة من المال لتوزّع على المحاربين لكي يسرعوا في الأعمال وتشجيعا للجنود غير أنّ هذا الأغا لم يعط شيئا لهم[4].

إنّ هذه الظروف السيئة التي تحدثنا عنها ساهمت في الفشل والانهزام في معركة إسطاولي التي دارت رحاها يوم 19 جوان بعد أن هاجمت القوات الجزائرية المعسكرة في إسطاولي مجمل جبهة الدفاع الفرنسي في سيدي فرج، فحوّل الفرنسيون دفاعهم إلى هجوم فكانت الخسائر الجزائرية بمقتل 4 آلاف إلى 5 آلاف بين قتيل وجريح، وبعد هذه الخسارة

[1]– صالح عباد، مرجع سابق، ص251.

[2]– حمدان خوجة، مصدر سابق، ص152، 153.

[3]– أحمد الشريف الزهار، مصدر سابق، ص163.

[4]– حمدان خوجة، مصدر سابق، ص156، 158.

فرّ الأغا إبراهيم تاركا وراءه الجنود مشتتين وعُيِّن الداي "مصطفى بومزراق" باي التيطري أغا خلفا له[1]، كما دعى الباشا المفتي (شيخ الإسلام) وأعطاه سيفا ثمّ أمره بجمع الرعية من أجل الدفاع عن الوطن ولكن شيخ الإسلام رجل عادل وذو جدارة، إلاّ أنّه بعيد أن يكون رجل حرب فيصعب عليه أن يقود جيشا في وقت حرج[2].

نتساءل لماذا لم يعيّن الداي قائدا من ضباط الانكشارية؟ يبدو أن الداي والبايات لم يكونوا على ثقة بضباطها في هذه الظروف ولعلّ هذا ما يقصده الزهار بقوله: "إنّما كان خوفهم يومئذ من أجل الأتراك"، بل إنّ القادة الأتراك لم تكن لهم الثقة حتى في مقاتلي القبائل الذين جاءوا للقتال فلم يعطوهم المؤونة والبارود الكافيين، بل كانوا يقولون لهم: "البارود الذي نعطيه إياكم لا تقاتلون به، بل ترجعون به إلى بلادكم"، وهذا يدل على مدى تفكك الجبهة الداخلية مقابل نظام ووحدة الغزاة الفرنسيين[3]، نصل الآن إلى حلقة أخرى من حلقات الضعف والانهزام وذلك بسقوط قلعة الإمبراطور (برج مولاي الحسن) حيث دارت مناوشات بين الطرفين ووقع تبادل للقصف بين السفن الفرنسية وقلاع مدينة الجزائر لعدة ساعات ابتعد بعدها الأسطول بسبب رداءة الأحوال الجوية، غير أنّ الزهار يؤكّد على أنّ ذلك الابتعاد كان بسبب مقاومة المدفعية الجزائرية، ويذكر القنصل الانجليزي أنّ معركة قلعة الإمبراطور هي المعركة الوحيدة التي استبسل فيها الجنود النظاميون وأنّ المقاومة الحقيقية التي واجهت الفرنسيين قبل دخولهم الجزائر كانت من سكان الجبال الذين نزلوا إلى متيجة لمواجهة الغزاة[4].

لقد كانت نتيجة هذه المعركة أن حلّ الخوف في قلوب الناس واشتدّ الأمر على المسلمين وتهدّم برج مولاي الحسن ومات خلق كثير من الفريقين، واشتد الأمر على مَن

[1]– صالح عباد، مرجع سابق، ص254، 255.

[2]– حمدان خوجة، مصدر سابق، ص165.

[3]– صالح عباد، مرجع سابق، ص255، 256.

[4]– نفسه، ص257.

بقي في البرج ومنهم مَن ألقى بنفسه من أعلى الجدار، ومنهم مَن تدلّى بحبل وخرج مَن بقي فيه ومنهم الخزناجي، هذا الأخير الذي وعد بإعطاء مئة سلطاني ذهبا لمن يُشعِل النار في خزنة البارود، فذهب رجل وقام بذلك فانفجرت خزنة البارود وطار من حولها من البناء[1]، ومن حسن الحظ أنّ الانفجار كان في المستودع الصغير دون الكبير الموجود أسفله إذ لو انفجر هذا المستودع لكانت الخسائر في المدينة أكثر وأشمل[2]، بالإضافة إلى أنّ هذا الانفجار ولّد الخوف والرعب بين السكان، حيث يقول سيمون بفايفر: "لقد كان لهذه الحادثة أثر سيء في نفوس السكان يستعصي عليَّ الوصف، فعندما صفرت الحجارة وهدرت في الجو، وانقطعت زمجرة المدافع أيضا، استبد بالمدينة ونواحيها صمت رهيب، كما لو أنّه لم يعد بها حي يرزق..."[3].

بعد سقوط قلعة الإمبراطور يوم 4 جويلية جَمع الداي حسين[4] سائر الأمناء ورجال التشريع وشرح لهم الحالة الخطيرة التي آلت لها مدينة الجزائر ثمّ شاورهم في الأمر، إمّا الاستسلام أو الحرب؟ فكان جوابهم القتال حتى الموت، لكن إذا كان للداي رأي آخر فلكم السمع والطاعة، ولكن يبدو أنّ أعيان المجلس كانوا يفضلون السلم، أمّا جوابهم فقد كان خشية أن يغتاظ الداي، وتزامنا مع هذه الأوضاع كانت هناك أخبار ونشرات داخل الرعية والمجتمع الجزائري مفادها أنّ فرنسا دولة عدالة وشهامة، فلا ضير للعدول عن الحرب والجنوح للسلم[5].

---

[1]– أحمد الشريف الزهار، مصدر سابق، ص174.

[2]– حمدان خوجة، مصدر سابق، ص167.

[3]– سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص99.

[4]– الداي حسين: هو الحسين بن الحسن آخر دايات الجزائر، واد في مدينة أزمير التركية في سنة 1773م، كان أبوه ضابطا في سلاح المدفعية ولهذا كان ميالا للعمل العسكري، كان على قدر كبير من الثقافة الإسلامية وحافظا للقرآن. أنظر: مصطفى بن عمار، مرجع سابق، ص123.

[5]– حمدان خوجة، مصدر سابق، ص167، 168.

كانت الدسائس والمؤامرات التي كانت تُحاك ضد الداي حسين من قبل المكتابجي مصطفى ورقة خاسرة أخرى ساهمت في تفريق الموقف الجزائري، فقد حاول هذا الأخير (المكتابجي) أن يفاوض القائد الفرنسي باسمه حيث عرض عليه بأن يأتيه برأس الداي ثمّ يوقع معه المعاهدة حسب ما تقتضيه رغبات فرنسا، لكن القائد دوبرمون رفض ذلك[1].

وبعد أقل من ساعتين جاء دور الحضر الذين أوفدوا إلى دوبرمون كلا من أحمد بوضربة وحاج حسين بن سي حمدان والقنصل الانجليزي بعد أن اقتنعوا بالشرط الثاني للداي وهو السلم، حيث استقبلهم دوبرمون وقدّم لهم الشروط الفرنسية لتوقيع معاهدة الاستسلام[2]، والتي جاء فيها الحفاظ على حياة الداي وحياة الرعية وممتلكاتهم وحرماتهم، كما ضمن لهم حرية ممارسة الشعائر الدينية على أن يسلّم الجزائريون مقابل ذلك كل ما في أيديهم من بنايات عامة وقلاع وحصون، وعندما تمّ التسليم عصر ذلك اليوم انتهت الحرب واستولى الأسطول الفرنسي على الميناء واحتل الجيش جميع الهضاب والمرتفعات الواقعة حول المدينة، وبهذا التاريخ أي 05 جويلية 1830م دخلت الجزائر تحت سيطرة الإدارة الفرنسية الظالمة والتي تدّعي الحرية والمساواة وضربت عرض الحائط بنود اتفاقية الاستسلام، وهذا ما يؤكّد على النوايا الخبيثة لهذا الاستعمار منذ زمن بعيد نحو الجزائر[3].

[1]– أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر...، مرجع سابق، ص204.

[2]– صالح عباد، مرجع سابق، ص258.

[3]– سيمون بفايفر، مصدر سابق، ص100.

خاتمة

خاتمــة:

من خلال رحلة البحث والغوص في جنبات الأوعية البيبليوغرافية، أسفرت دراستنا عن جملة من النتائج الهامّة نلخصها فيما يلي:

– شكّل حوض البحر المتوسط دائرة صراع بين العالمين الإسلامي والمسيحي، نظرا لأهميته الإستراتيجية، وقد عرفت الجزائر قبل المجيء العثماني مشاكل في الحكم بما يعرف بلامركزية الدولة ممّا جعلها لقمة صائغة للحملات الإسبانية في مدعاة منهم لملاحقة المورسكيين، الأمر الذي دفع الجزائريين للاستنجاد بالإخوة بربروسا لتحريرها من الغزو الصليبي، ومن ثمة ثبّت العثمانيون أقدامهم بإلحاق المغرب الأوسط بالدولة العثمانية في سنة 1519م، لتصبح إيالة الجزائر العثمانية.

– عرفت البحرية الجزائرية منذ منتصف القرن السابع عشر إلى غاية بداية القرن التاسع عشر تشكيلة في الأسطول متمايزة بأنواع سفنها وتعداد وحداتها، مرفوقة بتنظيم بشري محكم من خلال قباطنة السفن المعروفين بالرّيّاس والمشهورين بالحنكة البحرية بتوجيهات من رجال ديوان البحرية.

– بفضل القوة السياسية والعسكرية للأسطول الجزائري أصبح قوة اقتصادية فاعلة في حوض المتوسط، فمارس التجارة الخارجية مع الأقطار الأوروبية خاصة فرنسا وإنجلترا، كما كان للرّيّاس تأثير على التجارة الداخلية مع الأهالي واليهود.

– ساهم الأسطول الجزائري في تحصيل الغنائم البحرية وجلب الأسرى طيلة عهد الدايات، فدعّم الخزينة العامة للجزائر بالأموال، دون أن يخفى علينا تباين حجم عائداتها من مرحلة لأخرى.

– ساعدت الهيبة العالمية للبحرية الجزائرية في فرض إرادة الدايات على الدول الأوروبية بتوقيع معاهدات سلم وتجارة، أرفقت بالإتاوات والهدايا الإلزامية لإيالة الجزائر.

خاتمة

– تراجعت قوة البحرية الجزائرية خلال القرن الثامن عشر نتيجة الاضطرابات السياسية التي سادت البلاد، وشكّل إبرام إيالة الجزائر معاهدات واتفاقيات سلم مع معظم الدول تعطيلا لنشاط قطع البحرية الجزائرية.

– كانت من أهم الأسباب التي أدّت إلى انهيار البحرية الجزائرية على الصعيد الخارجي حملة إكسماوث 1816م التي كبّدت الجزائر خسائر كبيرة، فلم ينجوا من أسطولها إلاّ القليل، بالإضافة إلى دسائس اليهود وتحكمهم المطلق في التجارة وأيضا الثورات والانتفاضات الشعبية على الصعيد الداخلي.

– فقدان الجزائر خيرة بحارتها الذين كانوا يتمتعون بالخبرة والحنكة ومحاولة تعويضهم بآخرين، لكن دون جدوى ممّا قوّض إمكانية صد الحصار البحري الفرنسي الذي لم يطل حتى سقطت مدينة الجزائر يوم 05 جويلية 1830م.

الملاحق

ملحق(01): صور لأنواع السفن

سفينة البريك

سفينة الغليون

سفينة الشباك

سفينة الفرقاطة

حليم سرحان، تطور صناعة السفن، مرجع سابق، ص ص 293-298 .

ملحق(02): صورة لسوق النخاسة (الأسرى) في مدينة الجزائر

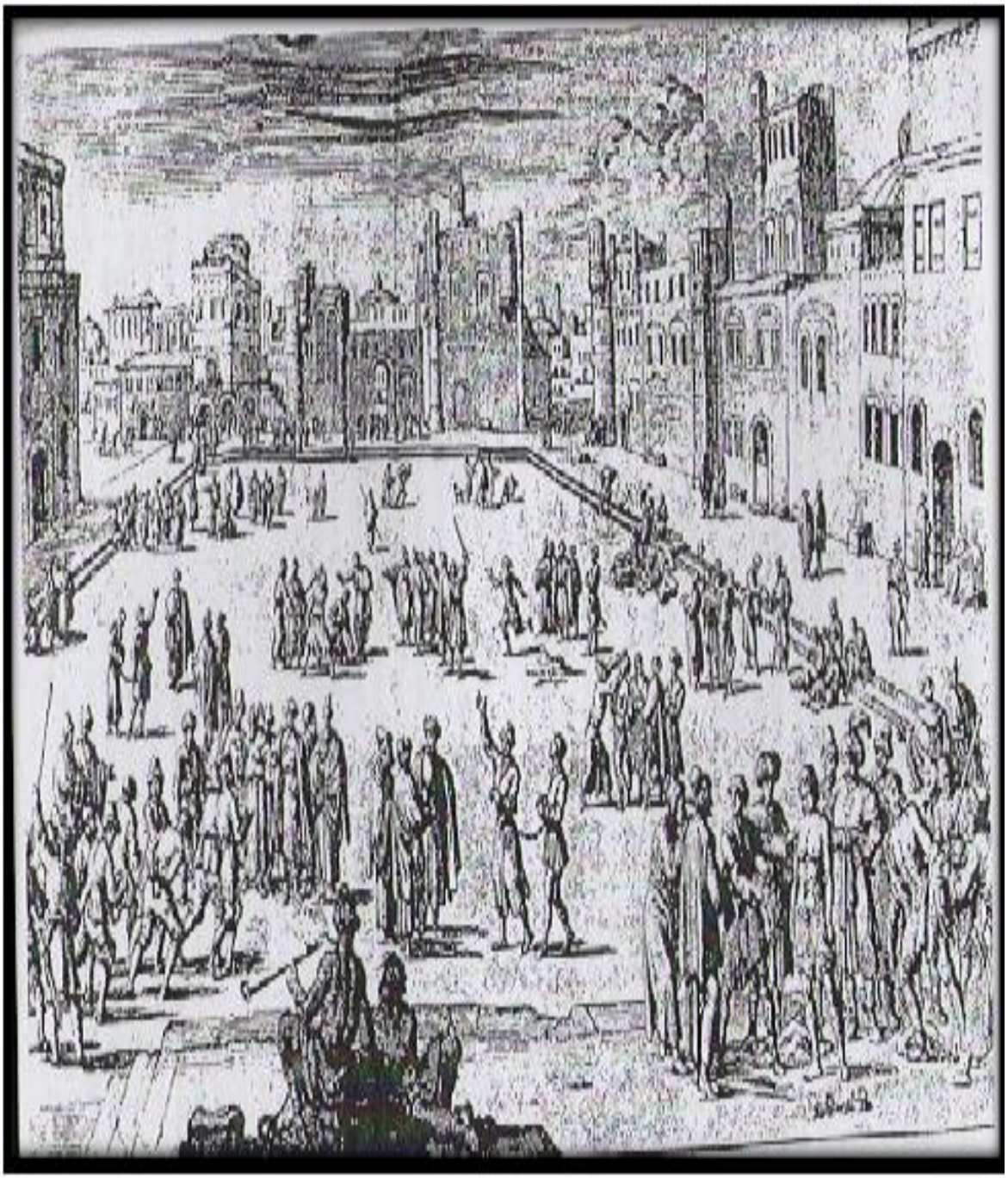

محمد الأمين عطلي، مرجع سابق، ص178.

كشاف

الأعلام والأماكن

فهرس الأعلام

	اسم الشخص	الصفحة
أ	إبراهيم باشا	15
	ابن الأحرش	94 ،93
	ابن ميمون	38
	أحمد أعجي	42
	الأغا إبراهيم	101
	إكسماوث	84 ،83 ،28
	ألبيرت دوفو	26
	أورلوف	52
	أيمو	79
ب	بابا حسن	53 ،38،37
	بارادي	60
	الباي عثمان	94 ،93
	بكري	90 ،59
	بوجناح (بوشناق)	90 ،89 ،59
	بول غرون هافن	81
	بولينياك	99
	بوم	67
	بيكو	79
ت	تورفيل	46
	تيدنا	66
ج	جورج لوجي	80
	جورج واشنطن	53
	جوزيف دونالدصون	78 ،54

ح	الحاج خليل	51
	حسن باشا	11
	حسين باشا	51
	حسين ميزومورطو	32 ،39
	حمدان خوجة	30
خ	خير الدين بربروس	09، 11، 21، 29
د	دارفيو	45
	الداي حسين	97،99
	الداي شعبان	23، 39، 42
	الداي عمر	55
	الداي مصطفى	48، 93
	دوبرمون	101، 104
	دوبيراي	27
	دوفال	97
	دوكين	37، 38، 45
	دولابروتونيار	99
	ديكاتور	55
ر	الرايس حسين	52
	الرايس حميدو	55، 56، 73
	الرايس ميمون	75
	روبرت كول	68
س	السلطان محمود	84
	سليم الأول	9، 43
	السير هنري نيل	87

ش	شار لوكان	11
	شارل العاشر	100
ع	علج علي	12، 13، 14
	علي أغا	17
	علي باشا	50
ف	فريمانتل	87
ك	كاترين الثانية	51
	كانكارت	54
	كبرياتا	66
	كليرمبولت	67
	كولي	97
ل	لوفاشيه	45
	لويس الرابع عشر	37
م	ماك دونال	87، 88
	محمد التريكي	36، 37
	محمد الكبير	80، 95
	محمد خوجة	80
	مراد الثالث	14
	مصطفى المزابي	95
	مصطفى الوزناجي	89
	مصطفى بومزراق	101
	ميشيل بوشناق	91
ن	نابليون بونابرت	47، 71، 48
	نفتالي بوجناح	90

هـ	هابنسترايت	66
	هايدو	20 ،59، 64
و	وليام شالر	26
ي	يحيى أغا	101
	يورك	66
	يوري سيميونوف	44، 45

فهرس الأماكن

	اسم المكان	الصفحة
أ	أرزيو	61
	أزمير	51، 62
	إسبانيا	07، 10، 11، 12، 13، 14، 17، 23، 63،65
	استانبول	40، 44، 45
	الإسكندرية	62
	إمارة كوكو	10
	أوروبا	07، 47
	إيالة الجزائر	07، 09، 10، 12، 13، 14،17، 21، 27، 29، 37، 44، 45، 50
ب	بجاية	58، 63
	البرتغال	71، 76
	بريطانيا	47، 48، 83
	البندقية	70، 78

ت	تلمسان	96
	تونس	40، 42، 54
ج	جزر البليار	100
	جنوة	70
ح	الحوض المتوسط،	08
د	دلس	61
	الدنمارك	68 ، 77
	الدولة العثمانية	7، 9، 14، 17،49، 50
ر	روسيا	50، 52، 98
س	السويد	78
	سيباو	90
	سيدي فرج	100
ش	شرشال	37، 38، 58
ص	صقلية	45
ط	طرابلس الغرب	38، 43، 54
	طولون	39
ع	عنابة	61
ف	فاس	49
	فرطاسة	95
	فرنسا	36، 37، 40، 45

ق	القالة	97
	القرم	43
	القسطنطينية	51، 62
	قسنطينة	90، 95
م	مالطا	70، 73
	متيجة	102
	مجانة	58
	مصر	43، 48
	معسكر	67، 95
	المغرب الأقصى	42، 49
ن	نابولي	70
	نافارين	43، 98
	النمسا	49
هـ	هامبورغ	68،70، 87
	هولندا	70، 77، 80
و	الولايات المتحدة الأمريكية	53، 57
	وهران	71، 73
ي	اليونان	43

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

أ- الكتب العربية:

1- بربروس خيرالدين، مذكرات خيرالدين بربروس، ترجمة: محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

2- بفايفر سيمون، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

3- خوجة حمدان بن عثمان، المرأة، تعريب: محمد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1922.

4- الراشدي أحمد بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: الشيخ المهدي بوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2013.

5- الزهار أحمد الشريف، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب اشراف الجزائر، دط، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

6- سبنسر ويليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تعليق وتقديم: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006.

7- شالر ويليام، مذكرات ويليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر(1816 -1824)، تعريب وتعليق وتحقيق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

8- شاوش ابن المفتي، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمع: فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2009.

9- شوفاليه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر(1510-1541)، ترجمة: جمال حمدانة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

10- بن عبد القادر مسلم، ذخائر المغرب العربي تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر، تحقيق وتقديم: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1394هـ -1974م.

11- العنتري محمد صالح، مجاعات قسنطينة، تقديم وتحقيق: رابح بونار، د ط، الجزائر، 1394هـ-1973م.

12- كانكارت جيمس ليندر، مذكرات أسير الداي كانكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

13- بن ميمون محمد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

14- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة العلوية،القسم الثاني، ج8، تحقيق وتعريب: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء،1997.

ب- الكتب الأجنبية:

1- De Haëdo Fray Diego, Topographie et Histoire général D'Alger, MM .Dr. Monnereau et A. Berbrugger ,1870 .

2- De Haëdo Fray Diego et De Fromesta Abbé, Histoire des rois d'Alger, H-D de grammant, addphe jourdan, libraire, éditeur, Alger, 1881.

3- De Paradis Venture, Alger au XVLll siècle, édité par e.Fagnan, Alger, 1898

4- Peysonnel JEAN André, Voyages dans les régences de Tunis et d'Alger, libraire de cide , Paris ,1838.

المراجع:

أ- الكتب العربية:

1- آلتر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا، ترجمة: محمد علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989.

2- بدر ثامر، أيام لا تنسى(صفحات مهمة من التاريخ الإسلامي)، تقديم: راغب السرجاني، ط1، دار أقلام للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 1432هـ/2011م.

3- بلاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصر من 1830 إلى 1989، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006.

4- بوحوش عمار، النّاريخ السياسي للجزائر من البداية والى غاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

5- بوعزيز يحي، علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوروبا (1500-1830)، د ط ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.

6- بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر الحديث، ج2، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.

7- تابليت علي، الرايس حميدو أميرال البحرية الجزائرية 1770- 1830م، الأبيار، الجزائر، 2006.

8- تابليت علي، العلاقات الجزائرية الأمريكية 1776 – 1830، ج1، الجزائر، 2013.

9- التميمي عبد الجليل، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي تونس- الجزائر- ليبيا من 1816إلى 1871، ط1، تقديم: روبار منتران، الدار التونسية للنشر، 1972.

10- الجيلاني عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ج2، د ط، لبنان، 1980.

11- حليمي علي عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، ط1، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972.

12- خلاّصي علي، الجيش في العصر الحديث، ط1، دار الحضارة ، الجزائر، 2007.

13- رزوق محمد، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و17م، ط3، دار نشر إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1993.

14- الزبيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

15- زروال محمد، العلاقات الجزائرية الفرنسية1791-1830 م، مطبعة دحلب، حسين داي، الجزائر، 1994.

16- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج1، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

17- ناصر الدين سعيدوني، رحلة العالم الألماني: ج.أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ - 1732م)، دار الغرب الإسلامي، تونس، د ت.

18- سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979.

19- سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.

20- سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر،2009.

21- سعيدوني ناصر الدين وبوعبدلي المهدي، الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)، ج4، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

22- شويتام أرزقي، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية 1519-1830م، ط1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القبة الجزائر، 2010.

23- شويتام أرزقي، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800- 1830)، ط1، دار الكتاب العربي للنشر التوزيع، الجزائر، 2011.

24- الصلابي علي محمد، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ج1، ط1، دار المعرفة، القاهرة، 2006.

25- عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)، دار هومة للطباعة للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت.

26- عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000.

27- عميراوي احميده، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2003.

28- غطاس عائشة وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، ط خ، للمجاهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007.

29- فارس محمد خير، تاريخ الجزار الحديث من الفتح العثماني إلى الاستعمار الفرنسي، ط2، مكتبة دار الشرق بيروت، 1979.

30- فركوس صالح، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

31- فريد بك محمد المحامي، تاريخ الدولة العلية، تحقيق: إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981.

32- قنان جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، طبعة خاصة، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار –وحدة رويبة، الجزائر، 2007.

33- قنان جمال، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث، د ط، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2010.

34- محرز أمين، الجزائر في عهد الأغوات(1659-1671)، د ط، دار البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت.

35- المدني أحمد توفيق، حرب الثلاث مائة سنة بين الجزائر واسبانيا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976.

36- مروش المنور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني الأساطير والواقع، ج2، الجزائر، دار القصبة للنشر، د ط، 2009.

37- الميلي مبارك بن محمد الهلالي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3،مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، د ت

38- نايت بلقاسم مولود قاسم، هيبة الجزائر الدولية ومكانتها العالمية قبل 1830م، ج1، دار الأمة، الجزائر، 2012.

39- هلال عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962)، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2016.

40- هلايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى الطباعة وللنشر والتوزيع،الجزائر، 2008.

41- هلايلي حنيفي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008.

42- هلايلي حنيفي، العلاقات الجزائرية الأوربية ونهاية الإيالة 1815-1830، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 1428هـ/2007م.

43- وولف جون .ب، الجزائر وأوروبا (1500 1830)، ترجمة: أبو قاسم سعد الله طبعة خاصة، دار الرائد،الجزائر، 2009.

ب- المذكرات:

1- بليل رحمونة، القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1564م إلى 1830م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2010-2011.

2- بوذراع نوارة، التنظيم العسكري للجزائر العثمانية (1518-1830)م، مذكرة مكملة للحصول على شهادة ماستر في التاريخ تخصص، تاريخ الجزائر الحديث، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018-2019.

3- تابليت علي، العلاقات الجزائرية – الأمريكية 1776- 1830،أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006-2007.

4- تلالي مهدي و دادو محمد بوقرة، افتداء الأسرى الأوروبيين في إيالة الجزائر من خلال المصادر الأجنبية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة أستاذ التعليم المتوسط في التاريخ والجغرافيا، دائرة التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار، قسنطينة، 2018-2019.

5- جميل عائشة، الجزائر الباب العالي من خلال الأرشيف العثماني، 1520م-1830م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2017- 2018.

6- حالة خديجة، الجاليات الأوروبية في الجزائر إبان العهد العثماني (1700م-1830م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ لاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور تخصص التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية، أدرار، 2012-2013.

7- حطابي رزيقة وبوفراح مليكة، سجل الغنائم البحرية الجزائرية (1178 -1245هـ /1765 – 1830م) ألبير دوفو من خلال المجلة الإفريقية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص حديث ومعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور يحيى فارس، المدية، 2015-2016.

8- حفصاوي راضية وهدروق حسيبة، البحرية الجزائرية في العهد العثماني (1518-1830)، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، المركز الجامعي خميس مليانة، 2011.

9- حماش خليفة إبراهيم، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من 1798م إلى 1830م، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث المعاصر، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1408هـ-1988م.

10- خشمون حفيظة، مهام مفتدي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006-2007.

11- روضة نصرات ومريم غميمة، الموانئ الجزائرية ودورها الإقتصادي والعسكري خلال عهد الدايات 1671م-1830م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط والحديث، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2016 -2017.

12- سرحان حليم، تطور صناعة السفن الحربية بالجزائر على عهد العثمانيين من خلال المصادر التاريخية والأثرية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2007.

13- بن صحراوي كمال، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية، المركز الجامعي مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2007 -2008.

14- صغيري سفيان، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671-1830) مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، شعبة التاريخ، قسم العلوم الإنسانية كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011-2012.

15- عطلي محمد الأمين، نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية، ملخص مذكرة شهادة الماجستير في تخصص التاريخ الحديث، قسم التاريخ، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية المركز الجامعي بغرداية، 2011-2012.

16- عقاد سعاد، الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر (1519م - 1830م) دار السلطان - أنموذجا -، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013-2014.

17- بن عمار مصطفى، الصراع على السلطة في الجزائر في عهد الدايات (1671م-1830م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2،2009-2010.

18- غطاس عائشة، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر(1619م - 1694م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1984-1985.

19- فلوح عبد القادر، العلاقات الجزائرية-العثمانية في الفترة (1233- 1246هـ الموافق لـ 1818- 1830م) على ضوء وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر تخصص العلاقات بين المشرق والمغرب، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، بوزريعة، 2009-2010.

20- قرباش بلقاسم،الأسرى الأوربيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2015-2016.

21- لقوارة فهيم، ميناء مدينة الجزائر ودوره الإقتصادي في العهد العثماني (ق.10-11هـ /16-17م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2011-2012.

ج- المقالات:

1- دحماني توفيق وهادي العبيدي صباح نوري، إيالة الجزائر العثمانية بين موارد البحر والضرائب، مجلة الملوية للدراسات الآثارية والتاريخية، ع 10، مج 4، جامعة الجزائر 2- كلية العلوم الإنسانية وجامعة ديالي – كلية التربية الأساسية، تشرين الثاني 2017م.

2- سرحان حليم، نظرات حول السفن الحربية الجزائرية في العهد العثماني (دراسة هستوريوغرافية)، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة المسيلة، ع9، جويلية 2015.

3- بن سعيدان محمد، الأسطول البحري ودوره في إيالة الجزائر خلال القرن 11هـ /17م، مجلة الحوار المتوسطي، مج 12 (13)، جامعة الأغواط، ديسمبر 2017.

4- سي يوسف محمد، دور قليج علي باشا بايلرباي الجزائر في معركة ليبانث 1571، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع21، جامعة تيزي وزو، الجزائر 2000.

5- شويتام أرزقي، التنافس الدولي في البحر المتوسط خلال القرنين 18 و 19 م وموقف الجزائر منه، حولية المؤرخ، ع 3-4، الجزائر، 2005.

6- صحراوي عبد القادر، ثورة الطريقة الدرقاوية في الجزائر أواخر العهد العثماني، مجلة الحوار المتوسطي، مج 15 – 16، جامعة سيدي بلعباس، مارس 2017.

7- العابد وردة، الخطط العسكرية للبرية والبحرية بالمغرب الأوسط ، مجلة دراسات أثرية، جامعة الجزائر، ع5، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط ج2، الجزائر، 26-27 نوفمبر 2014.

8- فكاير عبد القادر، دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتو 1571، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع 09، جامعة خميس مليانة، 2014.
9- المؤدن عبد الرحمان وبنجادة عبد الرحيم، العثمانيون المغاربة من خلال الأرشيفات المحلية والمتوسطية، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، ط1، الرباط، 2003.
10- محمد عطية، محن الجزائر في عهد الداي عمر 1815 -1817 م ومواقفه منها، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية مجلة دورية دولية محكمة، ع 13، قسم التاريخ، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، د ت.
11- نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، كلية الآداب الجزائرية، قسنطينة، 1965.
12- هلايلي حنيفي، التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية في العهد العثماني، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية دورية أكاديمية متخصصة محكمة تعنى بالدراسات الإسلامية والإنسانية، ع 24، جامعة سيدي بلعباس، ذي الحجة 1428 – ديسمبر 2007.
13- هلايلي حنيفي، الثورات الشعبية في الجزائر أواخر العهد العثماني كرد فعل على سياسة التهميش، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية دورية أكاديمية متخصصة محكمة تعنى بالدراسات الإسلامية والإنسانية، ع20، جامعة سيدي بلعباس، ربيع الأول 1427/أفريل 2006.

د- المراجع الأجنبية:

- الكتب الأجنبية:

1- Chaillou L, Textes pour servir à l'histoire de l'Algérie au XVIII siècle,Toulon , 1979.
2- Belhamissi Molay, Histoire de la marine algérienne 1515-1530, En Alger, 1983.
3- Belhamissi Molay, Marine et marins d'Alger 1515-1830, Tm1, Bibliothèque national d'Alger, 1996.

- المقالات الأجنبية:

1- Champ Grand, une mission délicate en barbarie ou XVII siècle, in RT, V30, 1937.
2- Devaux Albert, la marine de la régence d'Alger, RA, 1869.

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

إهداء

شكر وتقدير

مقدمـة ..... أ-هـ

الفصل التمهيدي: لمحة تاريخية عن البحرية الجزائرية خلال القرنين 16م و17م

أولا/ البحرية الجزائرية في عهد البايلربايات (1519م-1587م) 09

ثانيا/ البحرية الجزائرية خلال عهد الباشاوات (1587م- 1659م).....14

ثالثا/ البحرية الجزائرية في عهد الآغوات (1659م- 1671م).....17

الفصل الأول: هياكل البحرية الجزائرية

أولا/ تشكيلة الأسطول 21

1-السفن (مميزاتها وأنواعها) 21

2-وحدات الأسطول 25

ثانيا/ تنظيم البحرية الجزائرية 29

1-طائفة الرياس 29

2-ديوان البحرية 32

الفصل الثاني: أدوار البحرية الجزائرية

أولا/ الدور السياسي 36

1-داخليا.....36

أ-دور الرياس في تعيين الدايات 36

ب-الصراع على السلطة بين الرياس والإنكشارية 40

2-خارجيا 43

أ-العلاقات مع الباب العالي 43

ب-العلاقات مع الدول الأوروبية 44

ج-العلاقات مع الأقطار العربية 48
ثانيا/ الدور العسكري 50
1-الحروب مع أوروبا 50
أ-مشاركة الأسطول الجزائري في حروب انفصال اليونان.....50
ب- مشاركة الأسطول الجزائري في الحروب العثمانية الروسية 51
2-الحروب مع أمريكا (1795م-1815م).....53
أ-التصدي لحملة و.م.أ على الجزائر سنة 1815م 53
ب-نتائج الحملة الأمريكية على الجزائر.....56
ثالثا/ الدور الاقتصادي 58
1-التجارة 58
أ-التجارة الداخلية 58
ب-التجارة الخارجية 60
2-مداخيل الخزينة 63
أ-الأسرى والغنائم البحرية 63
ب-الإتاوات والهدايا الإلزامية 75

الفصل الثالث: عوامل ضعف البحرية الجزائرية في القرن 19م

أولا/ الحملات الإنجليزية 83
1-الحملة الانجليزية الهولندية المشتركة 1816م 83
2-الحملة الانجليزية 1824م 86
ثانيا/ انهيار نظام الدايات.....89
1-دور اليهود في إضعاف النشاط الإقتصادي 89
2-الثورات والانتفاضات الشعبية 92
ثالثا/ الحصار البحري الفرنسي (1827م-1830م).....97

قائمة المحتويات

1-الحصار البحري.....97

2-سقوط مدينة الجزائر 99

خاتمــة 106

الملاحـق 109

كشاف الأعلام والأماكن.....112

قائمة المصادر والمراجع 119

قائمة المحتويات 132

تم بحمد الله

الملخص:

شهدت البحرية الجزائرية أوج قوتها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، حيث تمكنت الجزائر بفضلها من احتلال مكانة خاصة في حوض البحر المتوسط، وإقامة علاقات دولية مع كبرى الدول الأوروبية، وهاته المكانة لم تكن لتنالها لولا التكامل بين هياكلها والدور الذي لعبه ديوان البحرية كهمزة وصل بين الرّيّاس والسّلطة، وامتلاك أسطول متميز من حيث العدد والنوع، هذا ما ساعدها للعب أدوار محورية تمكنت من خلالها بفرض إرادتها السياسية على جميع الأمم وبسط هيمنتها الاقتصادية نتيجة قوتها العسكرية التي ميزت أسطولها، ومارست من خلاله النشاط البحري الذي يعدّ الخط الأوّل في دعائم إيالة الجزائر، لكن شيئا فشيئا بدأ التراجع يظهر على النشاط البحري على امتداد القرن 18م وبداية القرن 19م نتيجة الحملات العسكرية المتكررة على سواحل الإيالة، ممّا قوّض إلتفاتة الدايات لما نشب من ثورات محلية فزاد الطين بلة، الأمر الذي جعل الوجود العثماني ينهار تدريجيا إلى أن وجهت له الضربة القاضية بظهور الأسطول الفرنسي على سواحل الإيالة، ومن ثمّة سقوط عاصمة الإيالة سنة 1830م وبدء فصل استدماري يقوده الحقد الديني المتعصب.

الكلمات المفتاحية: البحرية الجزائرية، الرياس، النشاط البحري، الأسطول.

Summary:

The Algerian navy had reached the epic of its power during the 16th and 17th centuries, in a nay it enabled Algeria to occupy a special place in the Mediterranean; as it contributed in establishing some serious international relationships with some of the greatest European countries. Such powerful state was due to the logical integration between its structures, and also due to the role that the navy office has played represented in a link between AL-RIYAS and the authority; in addition to the Algerian fleet, which was the main support to play significant roles. Consequently, Algeria was able to impose its political will over the other nations, as it could also impose its economic dominance as a resulte to its well acknowledged army force, that disting wished its fleet. A fleet that was considered as the basic of the Algerian maritime activity, which was believed to be the first line of the territory structure. But little by little, the decline of the maritime practice had begam throughout the 18th and early 19th centuries, as a result to the frequently repeated military attacks over the coasts of the territory. Thus, AL-RIYAS concern was dirived to the local revolutions, which added fuel to the fire. Accordingly, the Ottoman existance has started gradually decreasing, till it collapsed under the hands of the French fleet on the territory coasts, Followed by the collapse of the territory itself in 1830, to and up by a destructive peviod leaded by religious fanatice hated.

Key words: AL-RIYAS, Algerian Navy, Maritime Activity, Fleet .